الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع:

جدلية اللغة والعقل عند نعوم تشومسكي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة

خوجة عزيزة

إشراف

أ. د. زروخي الدراجي

السنة الجامعية : (2020/2019)

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة رحمه الله وطيب ثراه

إلى أمي الغالية حفظها الله

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله عز وجل على أن وفقني لإنجاز هذا العمل فما توفيقي إلا بالله،

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل البروفيسور

"زروخي الدراجي" الذي أشرف على عملي هذا وكان المرشد والموجه،

وعلى كل ما قدمه من توجيهات علمية وتحفيز لإتمام هذا البحث

كما لا أنسى أخي "عبد الحميد"

الذي كان لي الأب والسند في كل مراحل تعليمي

وكل الشكر إلى أساتذة قسم الفلسفة

مقدمة

مقدمة

يعتبر موضوع اللغة من المواضيع التي شغلت بال الفلاسفة و العلماء على حد سواء، هذا لكونها خاصية إنسانية ووسيلة للتفكير والتعبير وكذا التواصل بين بني البشر، وإن أول ظهور للإشكال اللغوي وتناول موضوع اللغة كان مع البداية الحقة للتفكير الفلسفي، وذلك في الفلسفة اليونانية تحديدا ما بعد سقراط، التي إهتمت بالإنسان على عكس سابقتها، حيث نلاحظ اهتمام سقراط باللغة من خلال ضبطه للمفاهيم وتعريفه للماهيات، وكذا تلميذه أفلاطون الذي ربط اللغة بعالم المثل وقال بفطريتها في الإنسان، ومن ثم أرسطو الذي يعتبر المؤسس الأول لعلم اللغة، حيث تطرق لأصل اللغة وإشكالية اللفظ والمعنى محاولا ضبط اللغة بقوانين منطقية من أجل وضع حد لكل المغالطات والتلاعبات اللغوية التي مارستها السفسطائية، ليرتبط الدرس اللغوي بعد ذلك في العصور الوسطى بمجال آخر وهو الهيرمونيطيقا ودراسة النص الديني وهذا تأثرا بالفلسفة السائدة أنذاك، إلا أن الثورة الإبستمولوجية التي حدثت في العصر الحديث ضد كل ما كان سائدا غيرت هي الأخرى منهج الدراسة في اللغة ليرتبط بالواقع والتفكير الإنساني ولعل أهم ماميز العصر الحديث هو النزعة العقلانية، فاصطبغ الدرس اللغوي بها وعرف تقدما من خلال ارتباطه بالتحليل واللغة المنطقية والعقلية التي جعلت منه فاعلية إنسانية محايثة لا مفارقة له من خلال قولها بالعقل كأساس للغة، مما شكل تلاحما بين كل من الموضوع اللغوي والفلسفي.

لتعرف علاقة كل منهما بالآخر تضاؤلا في العصر المعاصر، وذلك بإنقسام العلوم وقيام علم لغة خاص تأثر أيما تأثر بالعلم التجريبي، الذي عرف ازدهارا في ذلك العصر، فاعتبر العقل أداة ووسيلة لدراسة اللغة لا أساسا لها، ودرست هاته الأخيرة وفقا لمنهج العلوم الطبيعية مثلها مثل الظواهر الخارجية، فساد هذا الطرح باعتباره تقدما وثورة في علم اللغة في النصف الأول من القرن العشرين، إلا أنها كانت هناك ثورة ثانية قام بها الفيلسوف واللساني نعوم تشومسكي في النصف الثاني من القرن العشرين ليغير من مسار العلم اللغوي والنظرة

المجحفة في حق العقل وفاعلية الإنسان ودوره في العملية اللغوية وليعيد الصلة بين الفلسفة والدرس اللساني من خلال الربط بين العقل كموضوع فلسفي واللغة كموضوع لساني، هذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالية التالية :

ما هي غايات و أبعاد الربط بين العقل كموضوع فلسفي و اللغة كموضوع لساني عند نعوم تشومسكي ؟

وتتمخض عن هذه الإشكالية تساؤلات يمكن حصرها فيما يلي:

_ماهي الخلفية الفلسفية التي انطلق منها تشومسكي لبناء نظريته اللغوية الفلسفية ؟ وماهي تجلياتها؟ وما مدى تأثيرها في العلوم المعاصرة لها ؟

ولقد تم اختيار هذا الموضوع نظرا لأن فلسفة اللغة هي موضوع معاصر، فارتأينا أنه يجدر بنا تسليط الضوء عليه، ويعتبر تشومسكي خير معالج لهذه الفلسفة اللغوية في النصف الثاني من القرن العشرين، وإن الإهتمام الكبير من طرف الكتاب و المؤلفين والمترجمين بالفكر التشومسكي هو الشيء الذي أثار فينا الفضول للبحث في هذا الموضوع من أجل تبيان جهود هذا الفيلسوف في إعادة الموضوع اللغوي إلى أحضان الفلسفة ومحاولة تطويره للعلم اللغوي من خلال فلسفته العقلية والجمع بين اللغة والعقل.

ولتحقيق هذا وتوضيح ما سبق ذكره اتبعنا الخطة الآتية:

مقدمة: وفيها عرفت بالموضوع وطرحت الإشكال

الفصل الأول: والذي كان عبارة عن مقاربة تاريخية لجدلية اللغة والعقل.

حيث بينت مفهوم كل من اللغة والعقل، ومن ثم توضيح كل من الفلسفة اللغوية للسانيات البنيوية والسلوكية ونظرتها حيال اللغة، والتي تم إدراجها بإعتبارها المنطلق

الأساسي الذي انطلق منه تشومسكي في بناء نظريته، ومن ثم بينت الخلفية و المنطلقات الفلسفية التي تأثر بها تشومسكي وموقفه من اللغة والعقل.

الفصل الثاني: والذي تطرقت فيه إلى النظرية التوليدية التحويلية حيث بينت كل من مفهوم النحو التوليدي ومراحل تطوره وأهم عناصره ومن ثم الأسس التي بني عليها تشومسكي نظريته والتي تميزت بكونها عقلية تدعم قوله بثنائية العقل واللغة وأخيرا أدرجت خصائص هذه النظرية وأهميتها في الدرس اللغوي والفلسفي.

الفصل الثالث: كان عبارة عن تجليات النظرية التوليدية ومضاهر ثنائية اللغة والعقل والذي يعتبر كنتيجة وحوصلة لكل ماجاءت به فلسفة تشومسكي ومدى تأثيرها، فتطرقت أولا إلى التحول والنقلة التي أحدثها تشومسكي في مجال اللسانيات من خلال ظهور أتباع لنظريته، وأشرت إلى توضيفه للعلم البيولوجي وعلم الأعصاب والنظام الحاسوبي في اللغة إضافة الى تأثير نظريته في العلوم الإنسانية من علم نفس وعلم اجتماع وفلسفة.

وأخيرا لاتخلوا أي نظرية كانت من النقائص حيث بينت مجمل الإنتقادات التي وجهت لنظرية تشومسكي اللغوية العقلية وفكره عموما سواء في اللغة أو الفلسفة أو السياسة.

خاتمة: والتي حاولت أن أعرض من خلالها النتائج التي توصلت إليها من هذا البحث وذلك بالإجابة على الإشكال المسطر أعلاه.

ولقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج التحليلي في تحليل معظم أفكار تشومسكي والفلاسفة واللسانيين الذين تم توظيفهم إضافة إلى المنهج التاريخي في تتبع مراحل تطور الدرس اللغوي الفلسفي، كما أنه يتخلل البحث المنهج المقارن وهذا من خلال مقارنة اللسانيات في ما قبل نظرية تشومسكي وكيف أصبحت معه وبعده.

أما الدراسات السابقة التي تتقاطع وموضوعنا هذا في سبيل تبيان فلسفة تشومسكي اللغوية نجد دراسة "جليل فاطمة" و"سلطان كريمة" بعنوان "الإشكال اللغوي عند نعوم تشومسكي" مذكرة لنيل شهادة ماستر، قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم،(2017/2016)، التي ركزت على فلسفة تشومسكي تعريفها وأسسها وأهم عناصرها، وكذا بعض الدراسات اللسانية حول لسانيات تشومسكي أهمها دراسة "الصديق آدم بركات آدم " المعنونة ب: "النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقها على النحو العربي"، أطروحة لنيل درجة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، (2010) والتي جاءت مبينة للنظرية تشومسكي ومفصلة لها، إلا أن هاته الدراسات ركزت على الجانب اللساني وعلى نظرية تشومسكي اللغوية، فحاولت في بحثي هذا التركيز على الجانب الفلسفي اللغوي والعقلي لنعوم تشومسكي .

ولعل من أكثر الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا هو طبيعة الموضوع التي كانت تأخذ صيغة لسانية أكثر من كونها فلسفية فحاولت جاهدة ربطها بالجانب الفلسفي، إضافة الى التعقيد في نظريته التوليدية التحويلية التي اعتمد في صياغتها على المنطق والقواعد الرياضية واللغوية النحوية، كما أن اختلاف الدراسات بين من عالج فكر تشومسكي من جانب لساني وآخر من جانب فلسفي تسبب لي في نوع من الضياع بين طيات الكتب والحيرة في مايجب توظيفه من أساسي وثانوي، إلا أنه تم تذليل كل هاته الصعوبات بمساعدة أستاذي المشرف الذي كان حاضرا دائما للإستشارة والتوضيح وتم بحمد الله هذا البحث الذي أتمنى أن يساهم ولو بالقليل في إيضاح فلسفة نعوم تشومسكي اللغوية في إطار قوله بثنائية اللغة والعقل.

الفصل الأول

مقاربة تاريخية لجدلية اللغة والعقل

لطالما كان الفكر الفلسفي إما أفلاطونيا أو أرسطيا وهكذا انقسمت التوجهات الفلسفية إلى يومنا هذا، وقد عرف هاذين التيارين صراعا فكريا وجدالا فلسفيا على مر العصور، واللغة لا تخرج عن كونها هي الأخرى موضوعا فلسفيا تناولته بالدرس سواء المذاهب الفلسفية المتقدمة أم المناهج المتأخرة، حيث كان لكل نزعة سواء التجريبية أم العقلية نظرياتها وآرائها الخاصة حول موضوع وطبيعة وأساس اللغة، وقد شهد القرن العشرين أكبر جدال عقلي تجريبي حول موضوع اللغة، ولعل أبرز من مثلت التيار التجريبي هي اللسانيات البنيوية والسلوكية التي أدت نظرياتها إلى وجود رد من التيار العقلي بزعامة فيلسوف اللغة نعوم تشومسكي، **فما هو تفسير اللسانيات البنيوية والسلوكية لضاهرة اللغوية؟ وكيف نظر تشومسكي لماهية اللغة وعلاقتها بالعقل؟** وقد حاولنا الإجابة على هذا الإشكال من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول/ حول مفهوم اللغة والعقل

المبحث الثاني/ طبيعة اللغة بمنظور اللسانيات البنيوية والسلوكية الأمريكية

المبحث الثالث/ الخلفية الفلسفية لنظرية تشومسكي

المبحث الأول/ حول مفهوم اللغة والعقل

عادة عندما نكون بصدد دراسة موضوع ما والخوض في ثناياه فإنه يتوجب علينا تفكيكه إلى مصطلحات جزئية ومحاولة فهم كل منها على حدى ليتسنى لنا فهم الموضوع الكلي، لذا فإننا تناولنا مفهوم كل من اللغة والعقل في هذا المبحث وبينا آراء الفلاسفة حولهم.

أولا / مفهوم اللغة

"**اللغة مجموع من الأصوات المفيدة وهي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وتطلق أيضا على ما يجري على لسان كل قوم لأن اللسان هو الآلة التي يتم بها النطق، أو تطلق على الكلام المصطلح عليه أو على معرفة أفراد الكلمة وأوضاعها**"[1]، إن القول بأنها أصوات مفيدة هذا يعني أنها ذات معنى وتحمل رسالة ذات دلالة معينة، بهذا فإن اللغة هي وسيلة تواصل عامة وشاملة وهي لا تخص شخص دون الآخر، تمكن الإنسان من التواصل مع ذاته أولا ومع غيره ثانيا، وقد أخذت عدة تسميات كاللسان والكلام، وهناك من يرى أنها توحي بالمفهوم ذاته.

إلا أن لالاند يفرق بين اللغة والكلام فهو يرى أن اللغة هي التعبير اللفظي عن الفكر الداخلي والخارجي معا، كما أنها نية التكلم التي تتمثل في تفكير باطني أو كلام خارجي فهي تجمع بين الإثنين، إلا أن الكلام هو التمثيل الصوتي الخارجي الذي تمارس اللغة من خلاله، ويقر إلى أن اللغة كانت ترادف اللسان "langue" في وقت مضى إلا أنه الآن لم تعد تعبر كلمة لسان إلا على الكلام واللهجات العامة وطرق الكلام الخاصة بشعوب معينة

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982، ج2، ص286.

فاللغة ليس المقصود بها اللسان[1]، فهي تستطيع أن تكون داخلية وكذا خارجية، إلا أن الكلام ليس في وسعه إلا أن يكون خارجيا، كذلك اللسان فهو لا يعبر عن مصطلح اللغة لأنه خاضع لتغيرات الإجتماعية، فاللسان هو ما يعبر به عن لهجات أقوام دون غيرهم أما اللغة فهي تخضع لشرط الشمولية بحيث تكون اللغة الأم ومتفق عليها بين الشعوب فيعبر عنها بالكلام، ويشتق منها ألسنة مختلفة ومتغيرة من مجموعة إنسانية إلى أخرى.

لقد فند لالاند بعض الإعتقادات السائدة والمغالطات الشائعة القائلة أن اللغة ترادف كل من الكلام واللسان لهذا فإنه بعد تبيان الفروقات بينهم فقد أردف مفاهيم مضبوطة لكل منهم.

أ) اللغة: وهي كما يقول لالاند:" **كل نظام علامات يمكن استعماله وسيلة اتصال كلغة الحركات والإيماءات، وكل أعضاء الحواس يمكنها الإسهام في إنشاء اللغة**"[2]، فاللغة حسبه لا تضم فقط المنطوقة بل المرئية والمسموعة كذلك ولغة الإشارات وكل ما تنتجه الحواس من حركات أو أصوات أو تعابير فيزيولوجية تؤدي إلى معنى معين.

ب) اللسان: "**نظام تعبير لفظي عن الفكر يتضمن مصطلحا ونحوا محددين ثابتين نسبيا يشكلان مؤسسة اجتماعية مستديمة تفرض نفسها على سكان بلد وتضل شبه مستقلة عن إرادتهم الفردية**"[3]، فاللسان هو ذلك النسق النحوي الذي يقوم على مجموع من القواعد اللغوية والصوتية والذي يختلف من شعب لآخر إلا أنه متفق عليه في موطنه ويعتبر لسان حالهم الذي لا يمسه التغيير فهو محكوم بقواعد نحوية ثابتة، مثال ذلك اللغة العربية والتي اصطلح عليها ابن منظور كذلك مصطلح "اللسان" في معجمه "لسان العرب" الذي تضمن قواعد اللغة العربية.

---

[1]– أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر:خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001، مجلد1، ص721.

[2]– المرجع نفسه، ص722.

[3]– نفسه، ص722.

ج) الكلام: "**يقصد بالكلام فقط اللغة الخارجية فاللغة نوع يكون الكلام الخارجي جنسه بحيث يدل الكلام على الفعل الفردي الذي تمارس وظيفة اللغة بواسطته**"[1]، وأهم ما يميز الكلام كونه فعلا فرديا أي أنه يخضع لإرادة الفرد وإبداعه حيث يتحكم في صياغة الجمل التي تصدر منه ويعبر عن اختلاجاته بالطريقة التي يرى أنها مناسبة فالكلام لا يعبر عن لغة شعب ما بل هو خاصية فردية لأنه لا يتميز بالثبات والتقنين.

فاللغة حسب لالاند هي لغة عالمية شاملة تخص الإشارات والأصوات والإماءات وغيرها، واللسان هو قومي نوعا ما يخص فئة معينة من الشعوب أما الكلام فهو فردي يعبر به كل شخص عن أفكاره واختلاجاته.

كذلك يعطي علماء النفس معنى للغة ويرون أنها مجموع الإشارات التي تعبر عن الفكر ولهذا انقسمت اللغة حسبهم من جهة ماهي وظيفة نفسية إلى ثلاث أقسام:

1_ اللغة الطبيعية: "**تشمل جميع الإشارات والحركات والأصوات والظواهر الجسدية التي تصحب الإنفعالات والأفكار**"[2]، ويقصد بالطبيعية أي الفطرية والعامة التي هي مشتركة بين جميع الأفراد، والتي تعبر عن فكرة لم يتواضع عليها البشر ولدت مع الإنسان، كصراخ الرضيع من الجوع واحمرار الوجه عند الخجل والغضب والإيماءات بالرأس عند القبول أو الرفض أو باليدين...الخ من الإشارات والأصوات التي اعتبرت لغة طبيعية.

2_اللغة الوضعية:"**هي الرموز والإشارات والمصطلحات المتفق عليها كرموز الجبر والكيمياء وإشارات الموسيقى وغيرها**"[3]، فتمثل مجموع الإيماءات والرموز والإشارات التي تواضع عليها البشر واتفقوا على مدلولها حيث يصبح واضحا بيناً لكل الناس، مثال ذلك

---

[1]– أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ص 722.

[2]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص286.

[3]– المرجع نفسه، ج 2، ص287.

إشارات المرور والأماكن العمومية.

3_لغة الكلام: "لغة طبيعية ووضعية معا...فهي نتيجة تطور تدريجي أدى إلى انقلاب الإشارات الطبيعية إلى ألفاظ مفيدة"[1]، ويقصد به تطور اللغة الطبيعية إلى لغة أكثر تعبيرية بحيث أن إبداء الإحساس بالجوع يبقى تعبيرا لغريزة طبيعية إلا أنه يختلف من الرضيع الذي كان تعبيره عبارة عن صراخ إلى البالغ الذي سيعبر عنه بلغة الألفاظ، هذا التطور عائد إلى النضج والنمو الذي يمر به الإنسان.

1) مفهوم اللغة عند الفلاسفة المسلمين

يؤصل "ابن المنظور" للغة في معجمه لسان العرب فيقول: "**واللغة اللسن وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فعلة من لغوت أي تكلمت**"[2]، وللإشارة فإن هذا التعريف قد أخذ به صليبا في صدارة تعريفه للغة ونلاحظ أن كلا منهما لا يفرقان بين اللغة واللسان والكلام ويعتبرونهم شيئ واحد.

أما"ابن خلدون" فيعتبر اللغة ملكة لسانية يستطيع الإنسان التحكم فيها فيقول:"**اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكة ملكتها اليد**"[3]، فقد شبه الملكة اللغوية بملكة الخـط فكـلاهمـا موهبة فطـرية في الإنسان إلا أنـهما يتطوران بالإكتساب والممارسة.

كما أن" ابن جني" عرفها على أنها "أصوات" حيث يعطي الأولوية للأصوات ويصنف اللغة على أنها من طبيعة صوتية، وهو بهذا أخرج الكتابة من حقـل اللغة ودل على ذلك أن

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص287.

[2]– ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، مصر، د ط، د س، مجلد 5، ص 4050.

[3]– بن يحي زكية، الملكة عند المتعلم في الدرس الخلدوني، مذكرة لنيل شهادة ماستر، بن جدو وهيبة، قسم اللغة والأداب، كلية الأداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، 2016–2017، ص18.

العلماء العرب يدرسون اللغة المنطوقة لا المكتوبة[1]، كما أنهم يستخدمون المشافهة في التعليم وهناك منهم من كـان أميا لا يجيد الكتابـة إلا أنه ذا باع في اللـغة ويكتسب لـغة رصينة منمقة وبمقدوره التحكم والتلاعب في الجمل والكلمات، فاللغة حسب ابن الجني ما تعلق بكل ما هو منطوق وبتلك الأصوات التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره.

2) مفهوم اللغة عند الفلاسفة الغرب

نظرا لتعدد المناهج الفلسفية الغربية من العصر الحديث حتى المعاصر فإن هذا أدى إلى دراسة اللغة بمناهج ورؤى مختلفة، فتباينت المفاهيم بتباين مناهج الفلاسفة فنجد أنهم نظروا إلى اللغة من زاويتين، من حيث هي لغة عادية طبيعية وهي لغة الممارسة اليومية، ومنها ما هو خاص ووضعي وهي التي اخترعها الفلاسفة والعلماء لأغراض علمية أو ما يسمى باللغة الصورية أو المثالية أو مـا يطلق عليها لغة العلوم[2]، فانكب الفلاسفة لدراسة اللغة من الزاوية التي رأوها تمثل اللغة في طبيعتها وموضوعها وأساسها...الخ، فنجد اللسانيين التجريبيين أمثال دوسويسر ومدرسة أوكسفورد قد عالجوا اللغة العادية والمكتسبـة والملاحظة تجريبيـــا أما العقلانيين أمثال ديكارت وليبنز فقد نظروا للغة على أنها نسق صوري مقنن.

يعرف دوسويسر اللغة فيقول: "**اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة**"[3]، وبقوله أن اللغة نتاج اجتماعي فقد أعطى لها مفهوما قائم على أساس تجريبي يقوم على الملاحظة والإكتساب.

---

[1]– تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، دار دخلة، الأردن، ط1، 2011، ص19.

[2]– عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000، ص707.

[3]–فردنان دوسويسر، علم اللغة العام، تر: يؤيل يوسف عزيز، درا الأفاق العربية، بغداد، د ط، 1985، ص 27.

وقد حذت حذوه مدرسة أوكسفورد المتأثرة بكل من أفكاره وأفكار المدرسة السلوكية حيث نظرت للغة على أنها تلك اللغة العادية المتداولة وعلى أنها بنية لها نسقها الخاص الذي تعتمد فيه الأجزاء على بعضها البعض[1].

أما في الجانب الآخر عند العقلانيين فإننا نجد ديكارت يرى أن اللغة خاصية مقتصرة على الإنسان لإمتلاكه العقل حيث اعتبر أن اللغة من مميزات الجنس البشري فمهما بلغت عمليات التواصل التي تقوم بها الحيوانات إلا أنها لا ترقى لمستوى اللغة، ومهما أبدت بعض الحيوانات مستوى من الذكاء إلا أنها لا تستطيع تحقيق هذه الخاصية وهذا ليس عائد إلى نقص في أعضائهم النطقية بل على العكس من ذلك فإننا نلاحظ الببغاء يلفظ ببعض الكلمات وهذا يدل على سلامة جهازه النطقي، إلا أنه غير قادر على الكلام وأن يعي ما يتفوه به وهذا عائد إلى أن الحيوان لا عقل له فاللغة تستلزم ولو قليلا من العقل فأكمل الحيوانات لا يستطيع ممارسة اللغة في مقابل أن أصغر طفل بمقدوره ذلك[2].

أما ليبنز فقد نظر للغة على أنها تلك اللغة الرمزية وحذر من المستوي الذي تتردى إليه، فيجب المحافظة على شكلها المنطقي فحاول إقامة لغة عالمية قائمة على الرمز المنطقي والنحوي لغة يسهل تعلمها[3].

نلاحظ تباين مفهوم اللغة من فيلسوف لآخر فكل نظر إليها انطلاقا من توجهه الفكري ومنهجه الخاص.

---

[1]– عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل، ص707.

[2]– مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص539.

[3]– عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل، ص708.

ثانيا/ مفهوم العقل

لغة: "**العقل في اللغة هو الحجر والنهي وقد سمي بذلك تشبها بعقل الناقة لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود**"[1]، فالعقل بهذا المفهوم هو الذي يمنع صاحبه عن الخطأ والزلل وهو اللجام الذي يلجم النفس والشهوات ويوازن بين احتياجات الإنسان المادية والنفسية.

اصطلاحا: يطلق العقل على ثلاثة أوجه:

الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته وتعطي هذه الصفات معنى أن صاحبها ذا خلق محمود وعقل راجح من خلال كلامه واختياره وحركاته .

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب فتتكون بذلك لديه معان مجتمعه في الذهن التي هي عبارة عن خبرات يستنبط منها الأحكام في المواقف المختلفة.

الثالث: يراد به صحة الفطـــرة الأولـى في الإنسان بالتالي هو قوة تدرك صفـــات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها[2]

من خلال الأوجه التي بيناها في صفات الإنسان العاقل وما تصبغه صفة العقل على حاملها، فإنه تتراءى لنا صفات الرجل الحكيم هذا نظرا لما للعقل من أهمية في إضفاء صفات محمودة وسامية لكل من أخذ به وسلم ذاته لإمرته.

1) مفهوم العقل عند الفلاسفة المسلمين

تأثر العرب بالفلسفة اليونانية لذا فإننا نجد مفهومهم للعقل يماثل ما جاء في الفلسفة اليونانية في الأسلوب والتفسير نذكر منهم:

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص84.

[2]– المرجع نفسه، ص84.

أ) **الكندي:** يعتبر أول الفلاسفة المسلميـن الذيـن كان لهم إسم في الفلسفة حيث يعرف العقل قائلا: "**جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها**"[1].

ينفى الكندي على العقل الشيئية والمادية وينعته بالجوهر الذي لا تعرف مادته ولا صورته إلا أنه مدرك للأشياء والحقائق الخارجية.

ب) الفرابي: جاء الفرابي بمفهوم مماثل لما قال به اليونانيين وخاصة أفلاطون وأرسطو حيث قسم العقول إلى عشرة عقول وعد العقل الفعال نهاية هذه العقول، تحت ما يسمى بنظرية الفيض عند الفرابي "**العقل الفعال هو صورة مفارقة لم تكن في مادة ولاتكون أصلا**"[2]، وقد أطلق مصطلح العقل في الفلسفة الإسلامية على الله الخالق، فالفرابي يرى أن هذا العقل تفيض منه باقي العقول إلى أن يصل إلى العقل الإنساني والذي يعرفه بأنه "**جوهر بسيط مقارن للمادة يبقى بعد موت البدن، وهو جوهر أحادى وهو الإنسان على الحقيقة**"[3]، والذي يعتبره عقل ناقص في مقابل العقل الأول الكلي الفعال الكامل.

ج) إبن خلدون: يرى إبن خلدون بأن العقل قوة طبيعية في النفس هو أداة تحصيل المعارف، حيث يقول:"**إن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها صنفين صنف طبيعي، الإنسان يهتدي إليه بفكره وصنفنقلي يأخذه عمن وضعه والأول هو العلوم الحكمية والفلسفية، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية**"[4]، لهذا العقل الطبيعي عند ابن خلدون ثلاث درجات:

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص 84.

[2]–إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة، د ط، 1983، ص 120.

[3]– المرجع نفسه، ص 85.

[4]– نفسه، ص86.

_ العقل التمييزي

_ العقل التجريبي

_ العقل النظري[1]

يرى ابن خلدون أن العقل هو أداة لتحصيل المعارف وقوة إنسانية تمكن صاحبها من اكتساب العلوم والخوض فيها وأخذها بالدراسة والتمحيص، إلا أنه يميز بين نوعين من المعارف معرفة طبيعية تتمثل في مختلف العلوم التي هي من إنتاج العقل الإنساني والمصادقة له واقعيا كالعلوم الرياضية والطب وكذلك الفلسفة وغيرها، وهي المعارف التي يطالها العقل ونستطيع البحث فيها، أما الصنف الثاني وهي العلوم النقلية أو الجاهزة، وهـــي التي أوحيت إلى الرسل والأنبياء التي لا اجتهاد فيها فالعقل قاصر على أن يتناولها بالدرس نسلم بها دون برهنتها وهي ما تعلق بالإيمان والعقائد وللعقل المجال في الاجتهاد في فروعها والقياس عليها وتدعيمها والدفاع عليها بالأدلة العقلية، وإن ما يميز مفهوم العقل عند المسلمين كونه ارتبط بالجانب الديني.

2) مفهوم العقل عند الفلاسفة الغرب

تختلف نظرة فلاسـفة الغرب للعقل أيضـــا حسب التوجهات والرؤى والمنـاهج المتبناة من كل فيلسوف.حيث يعطي العقلانيين مفهوما مخالفا لما جاء به التجريبيين:

أ) ديكارت: يعرف ديكارت العقل قائلا أنه: "**قوة الإصابة في الحكم**"[2]، كما أنه الملكة التي تصدر بها الأحكام ونميز بها بين الخير والشر والحسن والقبح، وأنه واحد بين الناس لأنه أعدل الأشياء قسمة وتوزيعا بينهم حيث قال ديكارت بفطرية العقل، وأنه هبة من الخالق

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص 87.

[2]– المرجع نفسه، ص 86.

وهو مزود بمعارف بصفة مطلقة[1]، وأرجع ديكارت العقل إلى الذات الإنسانية كما رأى أنه ما يتشاركه الناس بعضهم بعضا.

ب) ليبنز: يرى ليبنز أن العقل "**معرفة طبيعية وهو منظومة مبادئ قبلية لا تتوقف حقيقتها على التجربة يمكن صوغها منطقيا ونحن نعرفها معرفة عقليــة** "[2]، كما رأى كذلك أن العقل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان وأن العقل هو عبارة عن الحقائق الفطرية التي نلد مزودين بها.

أما في الإتجاه الآخر فإن التجربيين لهم رأي آخر بخصوص مفهوم العقل حيث يرون أنه لا وجود لشــيء في العقل ما لم تزوده به التجربة فيعرف "جون لوك" العقل بأنه "**لـــــوح فارغ تأتي التجربة لتخط عليه المبادئ والمعاني**"3، بـهذا فإن العقل ليس به أي أفكار ومعاني مسبقة فالتجربة حسبه هي مصدر الأفكار والمعاني يماثله في الرأي دافيد هيوم وكل التجربيين الذين ينظرون إلى العقل على أنه صفحة بيضاء وأن التجربة هي منبع المعارف وأساسها.

من خلال التفصيل في كل من مفهومي اللغة والعقل وتجلي معنيهما وإزالة الغموض عليه فإنه تبين لنا أنه هناكعناد فلسفي وآراء متضاربة حول طبيعة كل من اللغة والعقل فاللغة من ناحية أنها فطرية غريزية حسب العقلانيين، ووضعيةمكتسبة أي تواضع عليها البشر والمجتمع حسب التجريبين ، كذلك العقل فإننا في تعريفنا له وجدنا تباينا بين الفلاسفة في كونه قوة إصابة الحكم كما عرفه ديكارت ورأى أنه قوة فطرية تولد مع الإنسان، في حين رأى الطرف الثاني أنه مجرد أداة تزوده التجربة بمختلف المعارف التي يكتسبها هو

[1]– الطيب بوعزة، العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت إلى كانط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، د ب، د س، ص 02.

[2]– أندرى لالاند، الموسوعة الفلسفية، ص1161.

[3]– الطيب بوعزة، العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت إلى كانط، ص02.

بالممارسة، هذا يحيلنا إلى إشكالية لازمة في علاقة كل منها بالآخر وحول طبيعة اللغة، فهل اللغة فطرية بفطرية العقل وكامنة به منذ ولادة الإنسان، أم أنها مكتسبة من المحيط الإجتماعي والعقل أداة لتحصيلها؟ هذا ما سنوضحه في المبحثين القادمين.

المبحث الثاني/ طبيعة اللغة بمنظور اللسانيات البنيوية والسلوكيية الأمريكية

إنه من أجل الخوض فيما قال به تشومسكي حول ثنائية اللغة والعقل، يجدر بنا عرض الأساس الذي إنطلق منه في بناء فلسفته، والذي ساهمت فيه نظريات اللسانيات البنيوية والسلوكية بشكل واضح، هذا ما سنفصل فيه في هذا المبحث.

أولا/ اللسانيات البنيوية

قبل أن نتطرق للسانيات البنيوية كإتجاه فلسفي لساني سنحاول التفصيل في البنيوية من جانبها اللغوي والإصطلاحي.

1) مفهوم البنيوية

أ) لغة: مأخوذ من البنية و"**البنية في اللغة من البنيان أو هيئة البناء وبنية الرجل فطرته نقول فلان صحيح البنية، والبنية عند الفلاسفة ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء**"[1]، إن معنى البنية يختلف إذا حسب توضيفها في الجملة.

كما أن" **للبنية معنى خاص وهو إطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى ومتعلقة بها**"[2]، بهذا فإن البنية هي مجموعة أجزاء متآلفة فيما بينها، لها خصائص مشتركة تجعلها تتحد لتشكل بناء واحد.

ب) اصطلاحا: هي" **كل متكون من ظواهر متضامنة بحيث أن كلا منها يتوقف على الآخر ولا يمكنه أن يكون ما هو عليه إلا في علاقته معها**"[3].

---

[1]– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص217.

[2]– المرجع نفسه، ص218.

[3]– أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ص1341.

فالبنية إذن تقوم على علاقة الأجزاء ببعضها البعض التي تكون لنا الموضوع الكامل فالجزء لا معنى له في معزل عن الكل، إننا نستطيع تمثيل البنية بالجسم الواحد الذي يتكون من عدة أعضاء متكاملة الوظائف، لا تعمل وظيفة بمعزل عن الأخرى ولا فائدة من عضو من دون باقي الأعضاء بل هو كتلة متجانسة متبادلة الوظائف متكاملة المبنى.

2) الإتجاه البنيوي اللساني

بدأت حقبة اللسانيات البنيوية قبل عام 1930 في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية معا[1]، "**ولقد جسدت اللسانيات المرحلة الرابعة من تطور علم اللغة بعد النحو والمنطق وفقه اللغة المقارن**"[2]، إذ أن اللغة عرفت عدة مناهج ومرت في تاريخها بمراحل عدة اختلفت فيها الطرائق والأساليب والمناهج المتبعة في دراسة الظاهرة اللغوية متأثرة بما كان معترف به وقائم في كل حقبة من الحقب، والمنهج الألسني هو الآخر من البديهي أنه تأثر وحاول مواكبة تطورات عصره.

ويعتبر العالم السويسري "فردينان دي سوسير" (1857- 1913) مؤسس هذا العلم، الذي نشر تلامذته محاضاراته بعد وفاته في كتاب دروس في الألسنية العامة[3]، ويرى دوسويسر أن اللغة "**مجال للمعرفة تتمتع بقوانينها وبنيانها وشروط تواجدها**"[4]، ومن خلال هذا التعريف فإنه يتبين لنا مسعى دو سويسر في جعل اللغة علما، فقوله بالقوانين يعني به إخراج اللغة من دائرة النحو إلى دائرة العلم وضبطها بقوانين علمية تخضعها للمنهج التجريبي.

---

[1]- ميليكا ايفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد الغرنم وفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، د ب، ص193.

[2]- الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي، دار الطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص131.

[3]- المرجع نفسه ص131.

[4]- فردناند دوسويسر، دروس في الألسنة العامة، تر: صالح القرمادي ومحمد الشاوس، دار العربية للكتاب، د ب، د ط، 1985، ص08.

ويقوم المنهج الألسني على مجموع من الخطوات، وهي ملاحظة الأحداث وتبيان تشابهها وذلك بتسجيل ما تم ملاحظته، من خلال هذا يتم وضع مجموعة من الفرضيات ثم التأكد ما إن كانت تتلائم تلك الفرضيات والواقع اللغوي، ثم التوصل إلى ملاحظات جديدة ومن هنا نكون قد تجاوزنا مرحلة التجريب التي تليها مرحلة بناء نظرية جديدة تفسر عمل اللغة بصورة عامة[1].

وإذا ما أمعنا النظر في مجموع هاته الخطوات فإننا نجدها تماثل خطوات المنهج التجريبي من ملاحظة وفرضيات وتحقق ونتيجة، بهذا فإننا نستطيع أن نعلن قيام الألسنية اللغوية كعلم قائم بذاته.

إن تأثر دوسوسير بالمنهج التجريبي واضح جدا حيث أراد إخضاع الظاهرة اللغوية لخطوات المنهج التجريبي، بهذا يصدق على اللغة مبدأ القوننة والتعميم فتحكم اللغة قوانين مجردة إضافة إلى إدخال الرمز، "**ولكي يتسنى له أن يشرح أفكاره بطريقة تتسم بالمباشرة والحيوية عقد دوسوسير مقارنة صريحة بينها وبين لعبة الشطرنج**"[2]، فهو يرى أن القطع التي تستخدم في لغة الشطرنج يمكن صنعها من مواد مختلفة (حديد، بلاستيك، نحاس...) وهذا حسبه غير مهم إنما ما يهم هو القيمة التي تأخذها تلك القطعة (ملك، جند، قلعة، بيدق)، الأمر ذاته بالنسبة للغة فالتتابع الصوتي للكلمة لا يحدد وجوده الواقعي المحدد بل إن كل كلمة قد تؤدي معاني مختلفة في مواقع مختلفة، فموقعها في الكلام هو الذي يبين معناها[3]، إن الذي يشير إليه هذا المثال هو فحوى النظرية البنيوية المتمثل في "البنية" حيث يرى دوسوسير أن الكلمة لا معنى لها خارج الجملة أي أن الكلمة تأخذ مدلولها من

[1]– الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة ونقد المنطق اللغوي، ص132.

[2]– ميليكا ايفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص216.

[3]– المرجع نفسه، ص216.

خـلال بنيــة الكلام الكلي، فإذا أخذنا الكلمة على حدى فإننا نجدها تعطي لنا أكثر من معنى هاته المعاني لا تخدم لي كلها المعنى المراد تأسيسه بل نحتاج واحدا فقط، وهذا الأخير تحدده علاقته بباقي كلمات الجملة، وهذا ما مثله في أحجار الشطرنج، حيث أن القطع لا قيمة لها في معزل عن بعضها البعض، إنما تؤدي دورها في اللعبة بتجانسها وتكاملها وهذا ما أشار إليه دوسويسر في قوله بالبنية الكاملة للنص فلا معنى للكلمات في معزل عن الهيكل الكلي للجملة أو النص.

إن ما يتحكم في تأسيس البنية هي العلاقات التي تربط في أجزاءها، فتلك العلاقات هي حسب دوسويسر علاقات مقننة ثابتة إذ أنه كما تتحرك أحجار الشطرنج وفقا لقواعد خاصة بلعبة الشطرنج يجب التقيد بها ولا يمكن أن يكون اللعب عشوائيا دون ضوابط وشروط، كذلك هو الحال بالنسبة للغة فبنية العبارة يجب أن تنظم وفق قواعد وشروط هذه القواعد اللغوية ولا يحق للمتكلم أن يغير ويحرف فيها وإلا إختل المعنى، وإن أي تغيير أو تبديل يجب أن يتم وفق القواعد اللغوية وفي هذا يقول ميشال زكريا: "**إن هذه الخصائص التي تتصف بها الدراسة اللغوية تجعل من الألسنية علما حديثا يعتمد التعميم والتجريد في صياغة القواعد ويتبين لنا لغة كلية قائمة على رموز متعاقبة، تفسر المعطيات اللغوية وتساهم بصورة مباشرة في تعميم اللغة و اختبارها**"[1].

من خلال محاولة دوسويسر لجعل اللغة هي الأخرى علما فإنه نظر لها على أساس أنها بنية واحدة تتكون من مجمـوعة من الأجزاء يحكم بنيــان أجزائهـــا قواعد وقوانين لا تتشكل لنا البنية اللغوية بغيابها، بهذا فإن اللغة أصبحت لا تتعلق بلسـان الحال وبالذات الإنسـانية وإنمـا تتعلق بالقواعد اللـغوية فاللـغة هي التــي تفرض بنيانهـــا على المتكلم وهي

[1]– ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، د س، ص143.

القائمة بذاتها وما القارئ أو المتكلم إلا دارس لها، بهذا فإن اللغة أخذت صفة الثبات، فهي تقوم على قواعد متماثلة عند جميع بني اللغة الواحدة، هذا ما يخضع اللغة للدراسة التجريبية ويصنفها في خانة العلم.

إلى جانب تأثر دوسوسير بالمنهج التجريبي فإنه كذلك تأثر بعلم الإجتماع، حيث "**يبني دوسوسير نظريته الاجتماعية في اللغة على أساس نظرية دوركايم الإجتماعي...ودوركايم يقر أن الظواهر الإجتماعية ذات وجود خاص بها واللغة ظاهرة من جملة الظواهر الإجتماعية... وأن الأنواع العامة للسلوك الإنساني لا تعدو أن تكون تعميمات وإن ما قرره دوركايم على الظاهرة الإجتماعية يصدق على اللغة في نظرية دوسوسير اللغوية**"[1]، إن تأثر دوسويسر بدوركايم جعله يؤمن أن اللغة هي الأخرى خاصية اجتماعية، فاللغة هي ما تواضع عليها المجتمع ومن ثم خضعت لتعميم لتتحول إلى قواعد ثابتة فالقواعد التي تحدثنا عنها لدوسوسير والقوننة وإلى غير ذلك، هي بالنسبة إليه نابعة من المجتمع لا من الفرد وعندما نقول الفرد فإننا نقصد به العقل الإنساني فدوسوسير يرفض أن تكون اللغة نابعة من قواعد عقلية أو فردية إنما هي نشاط جماعي تواضع عليه مجتمع ما فأخذ بنية معينة وصيغة محددة.

إن اللغة حسب دوسوسير تمتاز بالطابع اللاشعوري أو اللاواعي، وعلى هذا فالنظام اللغوي مستتر عند أفراد البيئة اللغوية في اللاوعي، ومهمة الدراسات اللغوية أن تستخرج تلك العناصر والعلاقات المكونة للنظام اللغوي[2]، فاللغة تمتاز حسبه بالطابع الجمعي، هذا ما يحيلنا إلى كون اللغة أداة لا شعورية بالنسبة للأفراد فلا يتدخل الوعي حسب دوسوسير في العملية اللغوية، فهي عملية اجتماعية لا واعية لا يستخدمها الإنسان بجميع مستوياته

[1]– محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص301.

[2]– الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص134.

العقلية والإدراكية لأنهما عملية استعماليـة يومية تواضعية لا تحتاج لعمليات عقلية معقدة أو التمعين فيها.

وإن نظرية دوسوسير في اللغة التي أحدثت فارقا في الدراسات اللغوية لم تكن من خلال مجرد آراء صرح بها إنما هي نظرية بناها انطلاقا من دراسات معمقة في اللغة ومن أبرز التقابلات التي وضحت النظرية اللغوية لدوسوسير والمنهج البنيوي نجد:

أ) اللغة والكلام

لقد عمل دوسوسير على أن يميز بين اللغة والكلام وهذا التمييز كان نابعا كما سبق الذكر من خلال تأثره بدوركايم في نظريته الإجتماعية ويعد هذا المبدأ "**مسؤولا إلى حد كبير عن تطور فكرة البنية ذاتها، لأن الفصل الحاسم بين التصورات الذهنية للغة والتطبيق العملي للكلام هو الذي ساعد على إضفاء صفة النظام التجريدي المترابط على المجموعة الأولى ونماذجها التي تحتذى في العمليات الأولى**"[1]، من خلال مبدأ اللغة والكلام فإننا نلاحظ فصلا بين اللغة التي اعتبرها دوسوسير التصور الذهني، والكلام الذي اعتبره التطبيق العملي إلا أن هذا الفصل لا يعني أنه ليس هناك علاقة بينهما فحسب دوسوسير الكلام التطبيقي هو الذي أدى إلى تطور اللغة التصورية أو التجريدية، وأن قوانين هاته الأخيرة ليست مستمدة سوى من المجتمع، يقول: "**إذن فدراسة اللسان تتكون من جانبين: الجانـــب الأساسي والذي هو هدفه اللغة وهو اجتماعي محض مستقل عن الفرد... والجانب الفرعي (الثانوي) وهدفه الجزء الفردي من اللسان أي الكلام بما في ذلك العملية الصوتية**"[2]، من هنا فإن دوسوسير يعطي الأولوية للغة بإعتبارها لغة شاملة كلية عامة مشتركـة بين جميع الناس تحكمها قوانين واحدة ومصدرها المجتمع، ومن ثم يأتي الكلام الذي هو صادر عن الفرد يتحكم به عن طريق الإنفعالات الذاتية والعمليات الصوتية التي قد تغير من المعنى

[1]– الزاوي بغورة، فلسفة اللغة، ص134.

[2]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص37.

لهذا دوسوسير يرفضها لكونها عائق في وجه علم اللغة الذي ينشده والذي يجب أن يتحلى بكل ضوابط العلم التجريبي حيث يقول:"**سيكون موضوع اهتمامي علم اللغة فقط (دون علم لغة الكلام) وإذا استخدمت من مادة تدخل في موضوع الكلام من أجل توضيح مسألة ما فسأحـــاول أن أبقى على الخطوط التي تميز بين هاذين الفرعين**"[1].

فدوسوسير يهتم باللغة من جانبها الصوري لا الواقعي فهو يهتم للبنية وعلاقاتها التي تربط أجزائها ببعضهم البعض وحجته في ذلك أن الكلام يختلف من مجتمع لآخر ومن شخص لآخر بهذا فإن الكلام ذاتي نسبي وغير ثابت بالتالي متغير بينما اللغة التي كان يبحث عنها دوسوسير وجب أن تكون ثابتة ومطلقة ليتسنى له تطبيق المنهج العلمي خلال دراستها ونستطيع أن يجعل منها علما يواكب العلوم.

ب) الدال والمدلول

أو كما أشار إليه في كتابة علم اللغة العام "طبيعة الإشارة اللغوية"، حيث يرى دوسوسير أن اللغة ليست عبارة عن إرداف لأشياء بمسمياتها وإعطاء الشيء الخارجي مسمى يمثله في اللغة، إنما هي بنية تكونها مجموعة من العناصر فنجـــده يقول: "**يعد بعض الناس اللغة في جوهرها، عملية لتسمية الأشياء ليس إلا، أي أنها قائمة من الألفاظ، كل لفظ تدل على الشيء الذي تسميه، إن هذا الرأي يمكـن انتقاده ... فهو ترجم أن الأفكار معدة مسبقا وموجودة قبل الكلمات... هذا الإعتقاد بعيد عن الصحة ومع ذلك فإن هذا الرأي البسيط يمكن أن يقربنا من الحقيقة إذا وضح لنا أن الوحدة اللغوية هي كيان ثنائي، كيان يتألف من الربط بين عنصرين**"[2]، يظهر لنا هنا رأى دوسوسير في طبيعة اللغة، حيث يرى أنها ليست نتاج العقل وأن الفكر لا يسبق الكلمات وهذا ما أوضحناه مسبقا في قوله بأن اللغة حسبه نتاج المجتمع.

---

[1]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص38.

[2]– المرجع نفسه، ص84.

ويضيف دوسوسير في تفسيره لطبيعة اللغة حيث أقر أنها تتكون من كيان ثنائي وهذا الكيان يقصد به "الإشارة اللغوية" التي تتكون من الدال والمدلول،"**إن الدال هو الترجمة الصوتية لتصور ما في حين أن المدلول هو الجانب الذهني للدال وتتضح بنيتها في إطار العلامة**"[1]، هاته العلامة هي ذاتها التي أطلق دوسوسير عليها مسمى "الإشارة اللغوية" وهي كيان سيكولوجي له جانبان جانب فكري و جانب متمثل في الصورة الصوتية، وقد مثلهما في دائرة واحدة توحي بإتصالهما والصلة الوثيقة بينهما.

"**إن الصلة وثيقة بين الجانبين فكل منهما يوحي للآخر فسواء أردنا أن نجد معنى كلمة "arbor" أو الكلمة التي تستخدمها اللاتينية للدلالة على فكرة "الشجرة" فمن الواضح أن الإرتباطات التي تقرها اللغة تبدو لنا في وحدتها مطابقة للحقيقة**"[2]، وبالتالي فإن الإشارة اللغوية هي عبارة عن اتحاد الدال بالمدلول، وهذا الإتحاد يشكل لنا التعبير عن المعنى المراد الوصول إليه فحسب دوسوسير أنه رغم اختلاف الكلمات والمفردات للمصطلح الواحد حيث أعطى مثالا بكلمة "شجرة" سـواء في اللغة ذاتها أو بإختلاف اللغات إلا أن الحقيقة واحدة والمعنى معنى واحد، وقد مثل لنا دوسوسير وحدة الإشارة اللغوية بالورقة التي لها وجهان، إلا أنها في النهاية ورقة واحدة كذلك هي الإشارة اللغوية وجهاها الدال والمدلول إلا أنهما يشكلان وحـدة واحدة من خلالها، "**ومثلما يستحيل قطع ورقة بالمقص من جانب دون قطع الجانب الآخر في الوقت ذاته كذلك يستحيل فصل الصوت عن اللغة أو الفكر عن الصوت**"[3]، فإن الإشارة اللغوية حسبه لا تتشكل إلا بوظيفة كلا الطرفين، لهذا رأى أنه مثلما يستحيل تمزيق الورقة من جانب من دون الآخر، كذلك يستحيل قيام الإشارة اللغوية على جانب واحد فقط سواء كان الدال أو المدلول فوظيفتهما تكاملية كل منهما يكمل الآخر.

---

[1]– الزاوي بغورة، فلسفة اللغة، ص135.

[2]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص85–86.

[3]– روى هاريس، توليب جي تايلر، أعلام الفكر اللغوي، تر: أحمد شاكر الكلاني، دار الكتاب المتحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص255–256.

إلا أن تكامل الدال والمدلول يتم تحت ما يسمى بالإشارة اللغوية "الدلالة" فنجدها بمثابة الحيز الذي يجمع بينهما، وهذا لا يمنع وجود تمايز بين كلا الطرفين فكما صرح دوسوسير أنهما وجهان وليسا وجها واحدا، هذا ما يدفعه إلى القول بإعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول أي أن كل منهما قائم بذاته ونستطيع الأخذ بدراسة كل منهما على حدى، "**وإذا فصلنا الإثنين لأغراض نظرية سندخل في علم النفس البحث (سيكولوجي) أو علم الصوت البحث وليس علم اللغة**"[1]، بالتالي فإن الأفكار والتصورات أو كما سماها دوسوسير"المدلول" بالإمكان دراستها على حدى ومجالها علم النفس، وأما بالنسبة للصورة الصوتية أو "الدال" فمجاله علم الصوتيات بهذا فإنه لا تطابق بين الدال والمدلول فيقول دوسوسير:" **الطبيعة الإعتباطية للإشارة وإن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية ولما كنت أعني بإشارة النتيجة الإجمالية لإرتباط الدال بالمدلول تهيأ لى أن أقول بأسلوب أبسط أن الإشارة اللغوية اعتباطية ففكرة "الأخت" "sister" لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات s-o-r التي تقوم بوظيفة الدال في اللغة الفرنسية فهذه الفكرة يمكن التعبير عنها بإستخدام أي تعاقب صوتي آخر وخير دليل على ذلك اللغات المختلفة**"[2]، هذا ما يفسر حسبه اختلاف اللغات من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر فهو يرى أن الإختلاف في الإشارات اللغوية ناتج عن العلاقة الإعتباطية بين الدال والمدلول.

وإن قول دوسوسير بإعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول واستشهاده بإختلاف اللغات واختلاف الكلمات بحيث للمصطلح الواحد مرادفات عديدة هذا لا يعني حسبه أن الفرد هو المتحكم في الإشارة اللغوية بحيث له الحرية في توظيف أي المصطلحات يشاء وأن اللغة هي نتاج فردي بل على العكس من ذلك فالإشارة اللغوية تبقى حسب دوسوسير اجتماعية نابعة من التواضع الإجتماعي فيقول: "**ثم إن كلمة الإعتباطية تحتاج إلى توضيح فهذه**

[1]- روى هاريس، توليب جي تايلر، أعلام الفكر اللغوي، ص256.

[2]- فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص86-87.

الكلمة لا تعني أن أمر اختيار الدال متروك للمتكلم كليا (حيث يرى أن الفرد لا يستطيع أن يغير الإشارة بعد أن تستقر هذه الأخيرة في المجتمع اللغوي) بل أعني بالإعتباطية أنها لا ترتبط بدافع أي أنها اعتباطية لأنها ليس لها صلة طبيعية بالمدلول"[1].

إن حرية الفرد في اختيار لفظ ليعبر به عن المعنى المراد إيصاله من بين مجموعة من المفردات هي حرية مقيدة حيث أنه موضوع أمام مجموعة من الإختيارات لا يستطيع الشذوذ عليها وهاته المفردات في النهاية هي نتاج المجتمـــع.

إن الجماعة هي من تواضعت عليها لذا فإن العقل دائما يبقى حبيس تلك الإختيارات التي سطرها المجتمع وإن أي ابتكار منه يجعله شاذا وغير مفهوم ويعيقه في عملية التواصل أو إبداء رسالته ويقصد كذلك دوسوسير بالإعتباطية أي أن كلا من الدال والمدلول يختلف في تركيبته الطبيعية عن الآخر فالأول يرتبط بجانب الأصوات أو "الفونيمات" وهاته الأخيرة التي تساهم في إنتاجها أجهزة فيزيولوجية، من لسان وحلق وغيرها من الأجهزة الصوتية التي تقوم بمجموع العمليات لإصدار الأصوات والذي هو كذلك نتاج اجتماعي من حيث الإبداع والإبتكار أما الثاني "المدلول" فهو مرتبط بجانب تصوري تجريدي يتعلق بالمعنى الذي يحمله الإنسان في ذهنه اتجاه ما يقابله في الواقع ساكن في عالم الأفكار ومن خلال هاته الفروقات الطبيعية يرى دوسوسير بإعتباطية العلاقة بين كل من الدال والمدلول.

ج) التزامن والتعاقب

حاول دوسوسير هنا دراسة الإشارة اللغوية من حيث الثبوت والتغير،"**ويعني المحور التزامني أو الأفقي أن الدراسة تقوم على رصد العلاقات بين الأشياء المتواجدة أو المتوافقة على أساس ثابت، ليس للزمان فيه أي دخل وهذا يؤدي إلى دراسة الظـاهرة في آنيــتها أو**

[1]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص87-88.

في صورتها البنيوية، أما محور التعاقب أو الدراسة العمودية فتكون الدراسة فيه حسب العلاقات بين الأشياء المتتابعة على أساس التغير الزمني والتاريخي"[1]، ونستطيع القول أن الإشارة اللغوية يمكن دراستها من جانبين جانب تزامني ثابت وجانب تعاقبي متغير فالأول يرى من خلاله دوسوسير أن الإشارة اللغوية ذات خاصية ثابتة في المجتمع لأنها عبارة عن موروث ثقافي يتوارثه الأجيال جيلا عن جيل يقول: "**فلم يعرف أي مجتمع من المجتمعـــات اللغة سوى أنها نتاج موروث من الأجيال السابقة ينبغي قبوله، لذا ليس لمسألة أصل الإنسان تلك الأهمية التي يعتقد أنها تنطوي عليها، بل أنها مسألة لا تستحق الإهتمام، فأية حالة من حالات اللغة إنما هي دائما نتاج للقوى التاريخية لذا تفسر هذه القوى عدم تغيير الإشارة أي لماذا تقاوم الإشارة استبدالها اعتباطيا**"[2]، ويتضح في هذا القول رأي دوسوسير صراحة في النظرية التطورية التي كانت سائدة آنذاك فدوسوسير من بين الذين جاؤو لدحض هذه النظرية ونقدها وقال بعدم أهميتها، وأن الإشارة اللغوية هي إشارة ثابتة لأنها وكما سبق الذكر نتاج اجتماعي يتوارثه المجتمع عن سابقيه،إضافة إلى أنها عملية اعتيادية عفوية لا واعية طبيعية يكتسبها الإنسان من مجتمعه أبا عن جد.

ويعطي لنا دوسوسير مجموعة من الأسباب التي تجعل اللغة ثابتة تنتقل من جيل لآخر دون حدوث أي تغير فجائي والتي منها اعتباطية الإشارة اللغوية والتي تجعل اللغة غنية وواسعة واختيارية هذا ما يدفع الإنسان للإكتفاء بها دون أي محاولة للتغير والإبتكار، إضافة إلى كثرة الإشارات اللغوية التي تعد ولا تحصى والتي تجعل اللغة صعبة الدراسة والتعقيد الذي يتطلب نحويين وعلماء وغيرهم، فبالرغم من أن هذه العملية قد حاول الخوض فيها العديد من العلماء والفلاسفة وهي ابتكار لغة جديدة، إلا أنها باءت بالفشل، هذا ما يثبت أن اللغة ثابتة غير قابلة للتغيير[3].

---

[1]– الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص195.

[2]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص195.

[3]–المرجع نفسه، ص 91–92.

أما العنصر الثاني ألا وهو التعاقب والذي يقصد به دوسوسير التغيير فهو الآخر صفة من صفـــات اللغة وإن كان الأول يحكمه العامل الاجتمـاعي الذي يميـز بالثبـــات فالثاني يحكمه عامل الزمن الذي يتصف بالتغيير والحركة يقول:"**إن الزمن الذي يضمن استمرارية اللغة، له تأثير آخر مناقض على ما يبدو للتأثير الأول: فهو يدفع إلى التغيير السريع أو البطيء للإشارة اللغوية، إذن يمكننا الحديث عن الثبوت والتغيير في الإشارة**"[1]، إن اجتماع صفتـــا الثبـــات والتغييـــر وإن كـــان يبدو ظاهريا نوعا من التناقض كما صرح دوسوسير إلا أنه يدعو إلى التكامل والإستمرارية فاللغة ثابتة في المجتمع خاضعة للتغيير عبر الزمن وإن كانت اللغة ثابتة على العموم لا تستطيع التغيير الكلي والمفاجئ لأنها خاصية اجتماعية إلا أن هذا لا ينفي كون اللغة متغيرة فنستطيع القول أن هناك تغير وسط الثبات هذا التغير يتحكم به عامل الزمن يقول: "**إن الزمن يغير كل شيء: إذن ليس من سبب يجعل اللغة لا تخضع لهذا القانون العام**"[2]، فالتغير يحكم اللغة شئنا أم أبينا وهذا ما يفسر إختلاف اللغات من مجتمع لآخر أليس هذا دليلا على أن اللغة متغيرة؟ كذلك تغيرها من جيل لجيل وإن كان الأصل ثابت إلا أننا لا نستطيع أن نغمض أعيننا نحو تلك التغيرات الصوتية التي نلمسها من جيل لجيل.

وعند قولنا بالتغيرات الصوتية هل هذا يعني أن التغيير يمس الدال فقط دون المدلول؟ يجيب دوسوسير:"**وفي بادئ الأمر ينبغي أن نوضح المقصود بلفظ التغيير قد يظن المرء أن التغيير يعني التغيير الصوتي الذي يخضع له الدال أو ربما التغيير في المعنى الذي يؤثر في فكرة المدلول، إن هذا الـــرأي عن التغيير لايفـــي بالغرض فمهما كانت قوى التغيير سواء جاءت كل واحدة منفردة أو جميعها سوية فإنها تؤدي دائما إلى تغيير في**

[1]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام ، ص93.

[2]– المرجع نفسه، ص95.

العلاقة بين الدال والمدلول"[1]، وبهذا فإن التغيير حسب دوسوسير قد يمس الدال على حدى أو المدلول على حدا أو قد يشملهما معا.

إن التغير الذي تكلم عنه دوسوسير هو تغير تفرضه اللغة على ذاتها ويفرضه اختلاف اللغات من مجتمع لآخر وكذلك عامل الزمن، إلا أن دوسوسير يرفض أن يكون للفرد يد في التغيير اللغوي الحاصل، فهو يرى أن الفرد غير قادر على إحداث تغيير عام وشامل، لأن ذلك التغيير يجب أن يعمم، وإمكانية ذلك صعبة التحقيق "**إن التغيير لا بد منه حتى أنه يظهر في اللغات الإصطناعية (غير الطبيعية) فمن يخترع لغة ما يستطيع السيطرة عليها قبل أن توضع موضع الإستخدام ولكن ما إن تدخل في مجال الإستخدام لتحقق الغاية التي وضعت من أجلها حتى تصبح ملكا لجميع الأفراد فيفقد صاحبها السيطرة عليها**"[2]، وهنا يصرح دوسوسير أن اللغة يحكمها التغيير حيث أن كل لغة نزلت إلى أرض الواقع الإستخدامي كانت عرضة لتغيير لا محال ويرفض دوسوسير فكرة اللغة الثابتة والشاملة ويرى بإستحالتها فنجده يقول في ذلك:"**إن الذي يقترح لغة ثابتة تستخدمها الأجيال المقبلة وتقبلها بطبيعتها الأولى مثله كمثل الذي يضع تحت الدجاجة بيضة البط، فاللغة التي يخلقها هذا الرجل يجرفها رغم صاحبها التيار الذي يجرف بقية اللغات**"[3] فيؤكد دوسوسير أن اللغة التي يبتكرها الفرد ليست هي التي سيجدها قيد الاستخدام لأن التغيير هو صفة من صفات اللغة أيا كانت هاته اللغة.

من خلال مبدأ التزامن والتعاقب نجد دوسوسير يعترف بثبات اللغة اجتماعيا وتوارثها وصعوبة إحداث تغير كلي عليها إلا أنه يقر أن هذا التغيير هو صفة جوهرية في اللغة لا

[1]– فردنان دوسوسير، علم اللغة العام، ص93.

[2]– المرجع نفسه، ص94.

[3]– نفسه، ص95.

يستطيع إحداثها الفرد لكن العامل الإجتماعي والزمني يستطيع ذلك فاللغة متغيرة من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر ويستحيل إيجاد لغة ثابتة كليا دون أن يطرأ عليها التغيير.

المتتبع لمجموع أفكار البنيوية يجد أنها ستتعارض وتلك التي سيقول بها تشومسكي ويسعى إلى إثباتها، سواء الطبيعة العقلية للغة أو دور الفرد في إنتاجها وكذا محاولته لإنشاء لغة شاملة.

ثانيا /اللسانيات السلوكية الأمريكية

في الحين الذي ازدهرت فيه اللسانيات البنيوية في أوروبا، نلاحظ في النصف الثاني من القرن 19 ظهورها كذلك في الولايات المتحدة الأمريكية وسواء كانت هاته الأخيرة متأثرة بالبنيوية الأوروبية وممثالة لها أو لم تكن إلا أنها تشترك معها في كونها تأثرت هي الأخرى بموجة العلم التجريبي، وأعطت تفسيرا واقعيا تجريبيا لطبيعة اللغة، ولعل أبرز ممثل لهذا الإتجاه نجد زعيم السلوكية بلومفيلد.

تشكل السلوكية الأساس الفلسفي للبنيوية (الوصفية، التوزيعية) التي أسسها "بلومفيلد"* التي ترى في أن أساس دراسة الضواهر اللغوية هو السلوك اللغوي ذاك الشكل حيث تقول بالتجريبية و تستبعد عمليات الوعي الإنساني بوصفها "عقلية" واقتصرت فقط على ما هو متاح في التجربة المباشرة والملاحظة المباشرة كذلك[1]، تأثرت اللسانية الأمريكية بالمنهج التجريبي هي الأخرى والمدرسة السلوكية خاصة، هاته المدرسة التـــي تقـوم بدراسة السلـوك الإنساني كأساس لفهم الظاهرة الإنسانية والقول بالسلوك بدل الأفكار العقلية بهذا فإن

*– ليونارد بولومفيلد "leonard Bloomfield" (1887–1949): صاحب اتجاه لساني ومؤسس مدرسة "ييل" للعلماء الوصفيين، زعيم اللسانيات السلوكية فسر الظواهر اللغوية بالعودة إلى السلوك. انظر: وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، المركز الاسلامي للدراسات، لبنان، د ط، 2019، ص 131.

[1]– جوهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2007، ص114.

بلومفيلد نفى هو الآخر العمليات العقلية والوعي الإنساني وقال بالفعل أو ما يسمى بالسلوك فاللغة حسبه هو ما توحي بها الأفعال والسلوكات يقول:"**فعل الكلام مجرد سلوك له طبيعة خاصة**"[1]، ويقصد بالطبيعة الخاصة هنا بالسياق، هذا السياق هو الذي يحدد كل من المؤثر والإستجابة الذي يقوم عليه الفعل الكلامي، لهذا فإننا لدراسة اللغة حسب بلومفيلد علينا تجميع مجموعة من المفردات من ثم وضعها وترتيبها وفقا للسياق لا للمعنى والإعتماد على الوصف[2]، فاللغة حسبه يحددها السلوك هذا السلوك الذي يتحكم به السايق العام لتلك الحادثة فالمواقف اليومية هي التي تحدد إنفعالاتنا وانفعالنا نعبر عنه بلغتنا وهذا ما دل عليه بلومفيلد بالمثير والإستجابة.

وتماثل لسانيات بلومفيلد لسانيات دوسوسير في كونها تهتم بصورة اللغة فنجده يقول بالصورة على حساب المعنى الذهني الذي أراد نفيه فحسبه "**أن معنى أي صورة من الصور اللغوية هو الحالة التي ينطق فيها المتكلم بهذه الصورة والأثر الذي يحدثه في السامع فبلومفيلد يبدأ من الصور اللغوية لا معاني الصور**"[3]، وهاته الصورة حسب بلومفيلد لا يحددها لنا سوى السلوك الذي يعبر عنه بأفعال وظواهر فيزيولوجية تظهر على الإنسان"**وعندما تحدث بلومفيلد عن معنى الكلمة ومعنى "النطق"عامة قال أنه ينبغي أن يعرف عن طريق أحداث عملية أي فيسيولوجية أو فيزيقية مرتبطة بها فمعنى "الجوع" مثلا في قولي "أنا جائع" يعرف بالتقلص العضلي وما يحدث في المعدة من إفرازات، وما قد يصحب ذلك من عطش...الخ ويرى بلومفيلد أن "الأفكار" و"التصورات" كذلك ينبغي أن يعاد وصفها بألفاظ فيزيقية**"[4].وهنا تظهر معاداة بلومفيلد للأفكار الذهنية والتصورات

[1]– الزاوي بغورة، فلسفة اللغة، ص139.

[2]–المرجع نفسه، ص140.

[3]– محمود السعران، علم اللغة، ص346.

[4]–نقلا عن: محمود السعران، علم اللغة، ص305.

صراحة، حيث أنه حاول إلغائها، فيرى أنه علينا أن نفسر كل شيء إنطلاقا من تفسيرات فيزيولوجية وفيزيقية حتى المعنى الذي عادة ما نرى أن مكانه الذهن وعالم التصورات رأى بلومفيلد أنه يظهر كتجلي خارجي فيزيولوجي، وأعطى لنا مثال الجوع حيث أننا عندما نجوع فكرة الجوع تلك ليست فكرة ذهنية عقلية بل هي عبـارة عن مجمـوعة من العمليـات العضوية التي تحدث في جسم الإنسان، والتي تعبر هي بذاتها عن فكرة الجوع، كإنقباض في المعدة وحركة في الأمعاء وإفرازات إنزيمية وغيرها، هاته هي التي تعبر لنا عن مصطلح "جوع" وكذلك معظم ما يشعر به الإنسان مثل التعب مثلا فهو عبارة عن حرق الخلايا لمعظم السعرات الحرارية ونقص في الأكسجين والأملاح وغيرها، بهذا فإن بلومفيلد فسر اللغة تفسيرا فيزيولوجيا فاللغة حسبه هي مجموع الأفعال التي يقوم بها الإنسان كرد فعل على موقف معين ومعاني الكلمات يتحدد في تركيبتها التي يتألف منها.

إن تأثر بلومفيلد بالسلوكية جعله يؤسس نظريته اللغوية على أساس سلوكي كذلك نجده يعطي لنا مثالا يعتبر من أشهر أمثلته التي تعبر عن فحوى نظريته وهو المثال المعروف ب"جاك" و"جيل" و"التفاحة" حيث "**نفترض أن جاك وجيل يسيران في الطريق وجيل تشعر بالجوع ترى جيل تفاحة على الشجرة فتحدث ضجة بحنجرتها ولسانها وشفتيها فيقفز جاك على السور ويتسلق الشجرة ويقطف التفاحة ويحضرها ل"جيل" ويضعها في يدها فتأكل جيل التفاحة**"[1] ، يوضح بلومفيلد من خلال هذا المثال كيف أن الأفعال تعبر عن الكلام فشعور جيل بالجوع تمثل في شعورها بمجموع عمليات بيولوجية مثل التي ذكرناها سابقا فعبرت لاشعوريا على ذلك عند رؤيتها للتفاحة من خلال إحداث صوت بحنجرتها ولسانها وشفتيها من خلال هذا استطاع جاك فهم جيل من خلال هاته السلوكات والنظر إلى التفاحة أنها تستشعر الجوع، فقام بتسلق السور وأتى لها بها، إذن فإن المعنـى لا يحتاج إلـى لغـة

[1]–محمود السعران،علم اللغة ، ص305–306.

منطوقة بقدر ما يحتاج إلى أفعال تعبر عليه فالمعنى هو في الأصل كامن بالأفعال وما اللغة والكلمات إلا مترجمة له على شكل لغة لغرض التواصل لا غير بهذا المعنى إن الألفاظ هي ترجمة للسلوكات والأفعال لاغير.

ويفسر لنا "بلومفيلد" الكلام (بصفته لغة) تفسيرا ماديا حيث يرى أنه عبارة عن موجات صوتية تجعل الهواء المحيط يضطرب على شكل موجات مماثلة هاته الموجات طرقت طبلتي أذن (جاك) وأثرت هذه الذبذبات في أعصابه وأحدث له دافعا للقيام برد الفعل بهذا يميز بين نوعين من المثيرات، علمية وهي تلك التي شعرت بها جيل كالجوع، والمثيرات الكلامية وهي ذبذبات تمس طبلة الأذن[1]، من هنا يمكننا القول أن بلومفيلد بنى نظريته في اللغة على أساس سلوكي قائم على المثير والكلام والإستجابة فاللغة بهذا ماهي إلا ردود أفعال لمجموع من المثيرات الداخلية والخارجية.

إن ما قدمته اللسانيات البنيوية والسلوكية الأمريكية يعتبر نقلة نوعية وتقدما فارقا بالنسبة لعلم وفلسفة اللغة على حد سواء حيث نلاحظ أن جهود كل من البنيويين وعلى رأسهم دوسوسير والسلوكيين الأمريكيين بزعامة بلومفيلد، اتجهت نحو مسعى واحد وهو جعل اللغة علما يخضع للمنهج التجريبي باستطاعته أن يصنف جنبا إلى جنب مع باقي العلوم، إلا أنها درست اللغة من جانب وصفـــي وأعادتهـــا لطبيعة إجتماعية وسلوكية، مهملة دور العقل في العمليات اللغوية هذا الأخير الذي سيعيده تشومسكي إلى الوجود في الدراسات اللغوية من خلال نقده لأفكار هذين الإتجاهين وقوله بالأساس العقلي للعمليات اللغوية.

[1]– محمود السعران،علم اللغة ، ص308.

المبحث الثالث/الخلفية الفلسفية لفكر نعوم تشومسكي

حاول تشومسكي دراسة العلاقة بين اللغة والعقل فكانت له آراء في فلسفة اللغة، حيث أقر بثنائية كل من اللغة والعقل، ولتسليط الضوء على فلسفته اللغوية إرتأينا تبيان الخلفية الفلسفية التي انطلق منها تشومسكي في بناء فلسفته هاته من خلال هذا المبحث.

أولا/أفرام نعوم تشومسكي "Noom ChomskyAfram"

حياته:

عالم يهودي وفيلسوف من مواليد فيلاديفيا في بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ولد في 07 /1928/12، تتلمذ على يد والده المختص بعلم اللغة التاريخي ودرس اللغة العبرية إلتحق بجامعة بنسلفانيا ليتابع دروسه في مجال الألسنية والرياضيات والفلسفة حاز على الدكتوراه في هذه الجامعة والتحق بهارفارد فأصبح عضوا فيها، ثم حصل على مركز باحث في المخبر الإلكتروني في معهد ماسشويست التكنولوجي ثم عين أستاذا به ولا يزال يشغل هذا المنصب إلى يومنا هذا[1].

فلسفته:

يتبوأ نعوم تشومسكي مكانة مرموقة في عدة مجالات معرفية في القرن العشرين، يعتبر فيلسوفا عقلانيا وعالم بالمنطق، تعددت إسهاماته في علم اللغة وفلسفة اللغة والعقل والسياسة إضافة إلى علوم الحاسوب والإتصال، يعتبر مؤرخ وناقد، له مواقفه سياسية، عرف بدفاعه

[1]– ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص 09.

على الشعوب و حقوق الإنسان لذا يعتبر من فلاسفة التعايش السلمي، كما أنه عرف بنقده للسياسة الخارجية الأمريكية،صاحب النظرية التوليدية التحويلية والفلسفة العقلية.[1]

من أهم مؤلفاته:

يملك مجموعة كتبية زاخرة في شتى المجالات سواء المنطق أو السياسة أو التاريخ أو الفلسفة أو اللغة، نذكر أهمها في اللغة:

- البنى النحوية.
- آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل .
- المعرفة اللغوية.
- اللغة والمسؤولية.
- اللغة ومشكلات المعرفة.
- العقل ضد السلطة.

ثانيا/موقف تشومسكي من اللسانيات البنيوية والسلوكية الأمريكية:

درس تشومسكي الظاهرة اللغوية من جانبين جانب علمي وجانب فلسفي فاعتبر فيلسوف وعالم في اللغة وذاع صيته من خلال قيامه بنقد اللسانيات البنيوية والأمريكية أولا ومن ثم إقامته لألسنية جديدة سميت باللسانيات التوليدية التحويلية[2].

بهذا فإن المنهج الذي جاء به تشومسكي"المنهج التوليدي التحويلي"، كان نتاج للثورة التي قام بها على سابقية، والعملية النقدية التي وجهها لكل من البنيوية والسلوكية "**ولقد نشأ تشومسكي في مدرسة تطبق طريقة بلومفيلد في البحث اللغوي وعلى الرغم من استقرار**

[1]– هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، 2015، ص 16.

[2]– الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص140.

هذه المدرسة وازدهارها فإن تشومسكي وجه إليها وإلى النحو الوصفي على العموم نقدا شديدا"[1]، فكما سبق التفصيل في المبحث السابق (اللسانيات البنيوية والأمريكية) في محاولة كل من دوسوسير وبلومفيلد القول با الطبيعة الاجتماعية و السلوكية للغة، فإن تشومسكي جاء لتفنيد آراء كل منهما وتبيان موقع الخطأ والضعف فيها فنجده عـارض السلـوكية بالرغم من أنه تتلمذ على طرائقها ولقد "**رفض تشومسكي كل هذا، لقد رأى البحث اللغوي يتركز على وصف السطح اللغوي كما هو بمقاييس المنبه والاستجابة، أي أن البحث اللغوي يكاد يعامل الإنسان بوصفه آلة تتحرك بحسب القوانين التي تحددها مواقف معينة**"[2]ومن هنا نجد تشومسكي رفض أهم مبدأ من مبادئ البنيوية وهو الوصفية حيث رأى أن الوصف قد همش دور الباحث التمحيصي والتفسيري الفعال إلى مجرد وصف الظواهر كما هي في الخارج.

وإضافة إلى دور الباحث فإن السلوكية في قولها بالمنبه والإستجابة أنها أساس العملية اللغوية فإنها جعلت من الإنسان مجرد آلة يستجيب لأوامر الطبيعة وفي هذا إلغاء لفاعلية الإنسان.

رفض تشومسكي رأي السلوكيين المبني على أن اللغة استجابة لمثير ما، نظرا لأن تركيزهم كان منصبا على المظهر الخارجي ضاربين بكل ما يرتبط بالعمليات الذهنية عرض الحائط، حيث انتقد تشومسكي السلوكية القائمة على السلوك من خلال قولهم بالمثير والإستجابة في كونها قابلة لدراسة السلوك الظاهر فقط، ماذا إذا عن اللغة الداخلية والتي هي على مستوى الشعور والإنفعـالات والعمليـات العقليــة الباطنية كيف تتم دراستها؟ هنا وضح

[1]– عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعوم تشومسكي والنحو العربي، مذكرة لنيل شهادة ماستر، اشراف الربيع بوجلال، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016/ 2017 ، ص8.

[2]– المرجع نفسه، ص08.

تشومسكي عجز المنهج السلوكي على دراسة اللغة وبين ضعفه.

نجده كذلك يفند ما يذهب إليه المنهج التجريبي في قوله:"**تلح التجريبية على أن الدماغ "المخ" لوح أملس فالعقل قبل تلقيه أية انطباعات خارجية فارغ غير مؤسس، منتظم أخيرا بعيدا كما يعني البناء التأملي إنني لا أرى، لا أرى الإعتقاد بذلك، إنني لا أرى سببا للإعتقاد بأن الإصبع الصغير ذى أصل أكثر تعقيدا من تلك الأجزاء المزود بها الدماغ (المخ) الإنساني ... إن الإحتمال بعيد بأن هذه الأجزاء من التركيبات الأكثر تعقيدا في الجنس البشري**"[1]، يرى التجريبيين أن العقل صفحة بيضاء تخط عليها التجربة ما تشاء وهذا الطرح آمنت به كل من السلوكية والبنيوية وأسست على إثره نظرياتها ففند تشومسكي هذا الطرح معتقدا أنه لا يمكن أن تكون العناصر الخارجية أكثر تعقيدا من الدماغ بمعنى أنه لا يمكن أن يكون الموضوع المدروس أكثر تعقيدا أو اتساعا من الذات الدارسة حيث يرى شومسكي حسب اعتقاده أن العقل هو المركب الأكثر تعقيدا على الإطلاق.

يقول "**رأيت أن أحول إهتمامي من دراسة السلوك الظاهر في استخدام اللغة إلى دراسة النحو التوليدي**"[2]، ووجه تشومسكي نقده للمنهج التجريبي من خلال الآراء التي صرحت بها كلا من السلوكية المؤمنة به وكذا البنيوية وهاته الأخيرة نجدها هي الأخرى قد رفض تشومسكي أهم مبدأ من مبادئها المتمثل في الطبيعة الإجتماعية للغة حيث نفى القول بأن الإنسان يكتسب لغته من مجتمعه وأن المجتمع هو مصدر الإشارة اللغوية والمتحكم فيها حيث نجده لا ينكر دور المجتمع والمحيط الخارجي كعامل مساعد أو معرقل لتنمية القدرات

---

[1]– نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، تحق : رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص195.

[2] Noam Chomsky , Knowledge of language , its origin , and use convergence , the first publishers , new york , london , 1986 , p24.

« devised, and thes will remain true no matter what successes are achieved. The situation does not seem different in principle from what we find in other areas of inquiry ».

اللغوية، والتي رآها تشومسكي فطرية في الإنسان وكامنة بالعقل وما المجتمع إلا محفز لـها فيقول: "**بصراحة إن المقاربة الطبيعانية لا تستبعد الطرق الأخرى لمحاولة فهم العالم، فالشخص الملتزم بها يمكنه بشكل ثابت أن يعتقد وأنا أعتقد أننا نتعلم من الإهتمام البشري بكيف يفكر البشر ويشعرون ويتصرفون عن طريق قراءة الروايات أو دراسة التـــاريخ أو فعاليات الحيـــاة العـــادية**"[1]، فـلا ضـــير أن الإنسـان يتعلم من محيـــطه ومجتمعه المعارف والعلوم وحتى اللغة إلا أن هذا المحيط والمجتمع لا نستطيع أن نقول عنه أنه أساس اللغة ومنبعها فاللغة حسبه فطرية في كل فرد "**إنني أفكر في شيء كالتالي، بناء على الفهم الدارج للدماغ مكون – لندعوه ملكة العقل- مخصص للغة واستعمالها فمن أجل كل فرد على حدى، تمتلك ملكة للغة حالة بدئية تقررها الموهبة الطبيعية البيولوجية**"[2].

بهذا فإن اللغة خاصية فردية طبيعية فطرية في الإنسان كامنة في العقل سماها تشومسكي بملكة اللغة وإن مصطلح ملكة هو مصطلح لطالما كان مرادفا للعقل كما سماه كانط "ملكة العقل" حيث تدل على شيء موجود قبلي لا دخل للعوامل الخارجية في وجوده الأول، وهذا ما يعني كون اللغة خاصية فردية، "**يمكننا أن نطلق على هذه الحالة اسم اللغة أو تفاديا للجدال الإصطلاحي العقيم، لغة أنا I- LANGUAGE حيث تم اختيار أنا لتوحي بأن التصور داخلي ذاتي فردي ومعتمد بالمعنى التقني أي توظيفا لوظيفة القصد**"[3]، إضافة إلى كون اللغة فردية وتفنيده لقول البنيوية حول أساس اللغة الإجتماعي فقد فند قولهم كذلك في كون العملية اللغوية لا واعية لا شعورية فها هو يؤكد أنهما عملية قصدية صادرة عن الفرد عن وعي ودراية.

---

[1]– نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع السورية، ط1، 2009، ص179.

[2]–المرجع نفسه، ، ص180.

[3]–نفسه، ص181.

إلى هنا فقد بات رأي تشومسكي واضحا حول طبيعة اللغة في كونها خاصية فطرية فردية واعية على عكس ما كانت تقول به البنيوية أنها خاصية مكتسبة جماعية لا واعية حيث يعرف اللغة قائلا: "**مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل كل جملة فيها محدودة في طولها قد نشأت من مجموعة محدودة من العناصر فجميع اللغات الطبيعية في صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم**"[1] ونجد تشومسكي في كتابه اللغة ومشكلات المعرفة يدعم رأيه بمجموعة من الحجج فيقول:"**هذه الأمور واضحة في دراسة النمو العضوي، فبنو الإنسان مهيئون لكي ينمو لهم أذرع وسيقان لا أجنحة وقد يحدث أن لا ينمو للجنين أذرع وسيقان بصورة سوية إذا كان هناك نقص في التغذية الملائمة أو كانت البيئة تعاني نقصا في أمور أخرى لكن من المؤكد أنه لن يؤدي أي تغيير في البيئة إلى أن ينمو للجنين أجنحة**"[2] فقد أكد تشومسكي من خلال هاته الحجة الواقعية أن البيئة والمحيط الخارجي مثلما أنهم عاجزين عن التدخل في تغيير التركيب العضوي للإنسان وتغيير شكل أعضائه فهم أيضا عاجزين عن التدخل في التشكل اللغوي عند الإنسان وحسب تشومسكي قد تعرقل الظروف المحيطة النمو اللغوي أو قد تدعمه، وهذا ما نلاحظه من خلال الفروقات بين الأفراد، وهذا لا ينكره تشومسكي إلا أنها لا تستطيع إلغاءها أو استبدالها بوظيفة أخرى لأنها فطرية كامنة في العقل.

كما أننا لو كنا نتاج لخصائص خارجية بيئية لكنا اختلفنا حتى في تركيبنا العضوي وأصبحنا مخلوقات لا تشبه بعضها بعضا في التركيب الجسمي والعقلي واللغوي وإمكانية اجتماعنا وتواصلنا كانت مستحيلة ولكن ولأننا معدين إعدادا معقد ومخصص وواحد فإننا نشبه بعضنا بعضا وهذا راجع لأننا لا ننمو تبعا لخصائص بيئية ومحيط خارجي بل نحن

[1]– نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط1، 1987، ص 17.

[2]– نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص207.

انعكاس لطبيعتنا الأساسية التي فطرنا عليها لذا فكلنا نحمل خصائص واحدة، مثال ذلك فإننا فنحن نمشي ولا نستطيع الطيران بصفة عامة[1]، ويدحض تشومسكي فكرة أخرى من أفكار البنيوية وهي قولها بالاختلاف اللغوي وكون اللغة متغيرة، فيرى أن الإختلاف الحاصل ما هو إلا إختلاف شكلي عارض بينما الأسس هي واحدة ولو كان الاختلاف جذريا لما استطاع الإنسان التواصل مع غيره أو تعلم لغة غيره هذا ما سنراه لاحقا في محاولة تشومسكي للإتيان بلغة شاملة.

ثالثا/تأثره بالفلسفة العقلية الكلاسيكية

من خلال نقد تشومسكي لكل من البنيوية والسلوكية بنى تشومسكي فلسفته اللغوية متأثرا بالعقلانية من جانبين هما:

1) الفكر الفلسفي العقلاني

وذلك من خلال قولـــه بفطـرية اللغـــة وردها إلـــى العقل وهذا في محـــاولة منه لإعادة الإعتبار للعقل والعقلانية في مقابل المغالات في التجريب .

حيث نجده متأثرا بالعقلانية الكلاسيكية فأنشأ علما سماه بعلم اللغة الديكارتي فقد أخذ جانب نشاط الوعي والإبداع وكذلك الأفكار الغريزية لديكارت وربطها باللغة[2]، ولم يتأثر تشومسكي بديكارت فقط بل كان فكره يوافق العقلانية عبر تطوراتها المختلفة فنجده يقول: "**أما التشابه الغامض بيني وبين كانط فيعود إلى أن الرجل كان يقول بأفكار سابقة عليه ولأفكاري معها شبه أكبر، تلك الأفكار التي جاء بها ديكارت والأفلاطنيون الجدد في القرن**

[1]–نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ص 207.

[2]– جوهارد هلبش، تطور علم اللغة 1970، ص 133.

السابع عشر بوجه خاص"[1]، نلمس أن الفكر التشومسكي متأثر بالعقلانية بصفة عامة من أفلاطون إلى غاية الفلسفة الحديثة، فأفلاطون يرى بأن الإنسان نزل من عالم المثل مزود بجميع المعارف التي عايشها في ذلك العالم وما المعرفة إلا تذكر، إذا فإن المعرفة هي فطرية، الأمر ذاته الذي قال به تشومسكي فيما يخص اللغة، فاللغة فطرية كامنة في عقل الإنسان ينشطها الإحتكاك بالعالم الخارجي في مرحلة الطفولة، كذلك نلمس الفكرة عند ديكارت في قوله بغريزية الأفكار وفطريتها حيث يقول: "**النور الفطري يرشدني إلى أن أعرف معرفة بديهية أن الأفكار في نفسي أشبه بلوحات أو صور**"[2]، ونلمس هذه الفكرة عند كانط في قوله بالأفكار القبلية أي أنها سابقة عن أي زمان ومكان وهذا ما أقر به تشومسكي ودافع عنه واعترف أن فكر كانط كان سابق لأوانه.

2) اللغة المنطقية

تأثر تشومسكي بالمنطق فحاول إقامة لغة شاملة تأثرا بالنحو الكلاسيكي المنطقي.

إن من بين الإنتقادات التي وجهها تشومسكي للبنيوية هي اهتمامها بالصورة والبنية الظاهرية وكذا باللغة لا بالقواعد والمبادئ التي تحكم هاته اللغة لذا فقد اهتم تشومسكي بالنحو وهذا من خلال كتابه "**البنى النحوية**" ومحاولة إقامته للغة منطقية شاملة وسنه لمبادئ عامة تخرج اللغة من مآزق التأويلات وتقوي فهم الإنسان لأخيه الإنسان فهما صحيحا.

هاته الفكرة يرى الباحثون أنها برزت مع مدرسة بورت رويال في القرن السابع عشر وأن تشومسكي تأثر بها وحاول إعادة بعثها.

---

[1]– نعوم تشومسكي، العقل ضد السلطة، تر: عبد الرحيم حزل، دار الأمان، دار التنوير، المغرب، بيروت، ط1، 2014، ص 139.

[2]– عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللغة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط2، 2004، ص 36.

تأسست هاته المدرسة في القرن 17 على يد إثنين من علمائها وهما "أنطوان ارنولد"، "كلود لاتسولت" في دير بورت رويال في فرنسا وهم صاحبي كتابي "النحو العام والنحو المنطقي"، وعرفت هاته المدرسة أنها مدرسة منطقية نظرا لأن مؤسسها "أنطوان ارنولد " ذا باع في المنطق وهو صاحب "التفسيرات المنطقية" في قواعد النحو التي يضمها كتاب "النحو" فقد وضع نظرية للعقل بعملياته ومحتوياته، هاته النظرية هي التي تقوم على تحليل الخصائص العامة للفكر الإنساني الذي ترى أنه مستقل عن الخبرة الخارجية فكان مبدؤهم هو أن بنية الفكر تحدد بنية التعبير اللفظي، فظل هذا المبدأ سائدا لعقود من الزمن[1]، هاته هي النزعة المنطقية التي تأثر بها تشومسكي حيث نظر هو الآخر للغة على أساس أنها مجموعة من القواعد المنطقية وكذلك ماثلهم في كون طبيعة اللغة عقلية مستقلة عن الخبرة الخارجية.

إضافة إلى القواعد المنطقية النحوية العامة المحددة في كتاب النحو فإن مدرسة بورت رويال استطاعت أن تأسس للشمولية بمعنى أنها قدمت شرحا للخصائص النحوية لجميع اللغات، فالنحو بالنسبة لهم هو "فن الكلام" وعند قولنا أنهم أسسوا اللغة على قواعد منطقية هذا لا يعني أنها عبارة عن قوانين ثابتة بل هي فن التواصل الناجح وفن الكلام بطريقة تعبر عن الفكر بشكل واضح.

فقد وضعت مدرسة بورت رويال مبادئ الأداء الناجح والفهم الصحيح وتبقى تلك المبادئ ذاتها مهما اختلفت اللغات سواء الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها لأن الغاية هي الفن الواحد، وبالرغم من أنه قد يظهر هنالك تناقضا بحيث كيف يمكن أن تكون مبادئ منطقية وفي ذات الحين فن حر، إلا أننا نستطيع تمثيلها بما يرتديه المرء من ملابس سواء كان من القطن أو الحرير أو الصوف فإن التصميم يبقى واحدا ومبادؤه واحدة، حتى وإن كان

[1]– روي هاريس، توليب جي تايلر، أعلام الفكر اللغوي، ص 150– 153.

علينا مراعاة كل نوع من الأقمشة في حياكته وتفصيله إلا أن الشكل العام يبقى واحدا، كذلك هي اللغة بالنسبة لمدرسة بورت رويال لها مبادئ منطقية واحدة مهما اختلفت وإن كانت لكل لغة خصوصيتها إلا أنها تخضع لذات المبادئ الشاملة المسطرة في كتاب النحو في مدرسة بورت رويال[1]، حاولت هذه المدرسة سن مبادئ شاملة وعامة للغة تصلح على جميع اللغات تجعل الإنسان يفهم ويعبر بطريقة صحيحة فقد أرست قواعد يستطيع من خلالها أي شخص أن يتعلم لغة أخرى غير لغته من خلال اتباعه لمجموعة من القواعد الشاملة، هاته هي الغاية التي نجد تشومسكي قد تبناها هو الآخر حيث سعى لإنشاء قواعد نحوية شاملة من الممكن تطبيقها على كل اللغات والتي سطرها في كتابه "البنى النحوية" مماثلا لكتاب النحو لمدرسة بورت رويال.

إن مشروع اللغة الشاملة الذي جاء به تشومسكي يعتبر الخطوة التي قام بها لتخطي هفوات كل من البنيوية والسلوكية وكذلك القاعدة العامة والنهج الذي أعطى به الاستقرار بالنسبة للدراسات اللغوية، حيث يعتبر "**النحو نظام من القواعد والمبادئ المحددة لخصائص الجمل الشكلية والدلالية... لنعرف النحو العالمي على أنه نظام من المبادئ والقواعد والشروط نظام هو عبارة عن عناصر وخصائص مشتركة بالنسبة لسائر لغات العالم، نظام ليس فقط وليد الصدفة بل نتاج للضرورة أيضا، الضرورة الحيوية لا المنطقية وهكذا يمكن اعتبار النحو العام تعبيرا عن ماهية اللغة الإنسانية وجوهرها**"[2].

يعبر تشومسكي من خلال النحو العالمي عن الحيوية والروح الإبداعية في اللغة حيث يدحض ما آلت إليه اللغة من سطحية وجمود فقد أسس تشومسكي المنهج التوليدي التحويلي من أجل إعادة إعمال الفكر، فاختلاف اللغات لن يكون عائقا أمام عملية التواصل والإنفتاح على الآخر.

---

[1]– روي هاريس، توليب جي تيلر، أعلام الفكر اللغوي، ص 153–154.

[2]– الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص142.

إذا من خلال عرضنا لكل ما جاءت به اللسانيات البنيوية والسلوكية ومحاولة تسليط الضوء على أهم أفكارهم وكذلك تبيين أهم الإنتقادات التي قال بها نعوم تشومسكي وعرض فلسفته العقلية اللغوية يتبين لنا أن العلاقة بين اللغة والعقل تباينت من فيلسوف لآخر، إلا تشومسكي اعتبر العقل أساسا للغة ومنبع كل العمليات اللغوية.

وهدف من خلال هذا القول إلى إعادة العقلانية إلى الدرس اللغوي والفلسفي وإعادة الإعتبار للفرد بعد التهميش الذي طاله وكذا تفعيل العقل في شتى المجالات والحد من المغالاة في التجريب، حيث أن مواكبته للقضايا السياسية والعالمية هو الأمر الذي جعل منه يحاول إيجاد منهج يدعو إلى الكونية والشمولية وهذا ما برز في النصف الثاني من القرن العشرين من فلسفات تدعو إلى التعايش فساهم تشومسكي هو الآخر من خلال قوله باللغة العالمية في هذه الدعوة باعتبار اللغة كانت دائما عائقا أمام اتصال الشعوب فيما بينها فحاول تشومسكي إزالة هذا العائق من خلال منهجه الذي سنفصل فيه في الفصل الموالي.

الفصل الثاني

النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي

إن النقد الذي وجهه تشومسكي لكل من البنيوية والسلوكية لم يكن نقدا من أجل النقد فحسب، بل كان نابعا من أفكار مخالفة يؤمن بها ويرى فيها البديل ويأمل من خلالها إلى تطوير العلم اللغوي، هذا ما دفعه إلى تأسيس نظريته التوليدية التحويلية التي تميز بها فكره والتي أثرت في منهج دراسة اللسانيات اللغوية في النصف الثاني من القرن العشرين ولا يزال تأثيرها إلى يومنا هذا، هذا المنهج الذي سيبين من خلاله، ويؤكد صحة ما ذهب إليه في مجموع أقواله من فطرية اللغة وطبيعتها العقلية والفردية وإعادة تفعيل دور الإنسان، حيث أن تشومسكي غير أسس الدراسة السابقة وجاء بنظرية جديدة تدعم آراءه العقلية، **فكيف أثبت تشومسكي العلاقة بين اللغة والعقل من خلال نظريته؟ وعلى ما تقوم هذه النظرية؟** ومن أجل دراسة هذه النظرية و الإجابة عن هذه الأسئلة تضمن هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول/النحو التوليدي مراحل تطوره وأهم عناصره

المبحث الثاني/أسس النظرية التوليدية التحويلية

المبحث الثالث/ خصائص وأهمية النظرية التوليدية التحويلية

المبحث الأول/ النحو التوليدي التحويلي مراحل تطوره وأهم مكوناته

بعد النقد الذي وجهه تشومسكي لكل من البنيوية والسلوكية وتفنيده لآرائهم بنى نظريته التوليدية التحويلية التي أثبت من خلالها مجمل آرائه حول طبيعة العلاقة بين اللغة والعقل، وفي هذا المبحث سنحاول التعرف على هذه النظرية ومراحل تطورها وأهم عناصرها.

أولا/مفهوم النظرية التوليدية التحويلية

سبق لنا القول أن تشومسكي قد عالج النحو اللغوي لا اللغة في حد ذاتها لهذا سميت نظريته بالنحو التوليدي التحويلي ذلك لأن اهتمامه انصب على النحو.

1) موجز تاريخي لتطور النحو اللغوي

"**تدل كلمة نحو grammaire على معان متعددة تختلف باختلاف الثقافات والأزمنة إن الكلمة مأخوذة من الأصل اليوناني grammé الذي يعني الحرف المكتوب**"[1]، كان اليونانيين أول من عالجو موضوع النحو اللغوي من خلال دراسة الأحرف وكذا تعليمها وأكثر ما ارتبط بقوانين الكتابة وإتصالها ببعضها البعض، هاته القواعد التي كانت عند اليونانيين عبارة عن قوانين ثابتة من أجل تعليم اللغة اليونانية والحفاظ عليها عبر الزمن لتنتقل هذه القواعد جيلا عن جيل وتحافظ اليونانية على استمراريتها.

وظل النحو محافظا على معناه الأصلي في القرون الوسطى حيث كان يقصد به فن الكتابة والقول الجيدين، إلى غاية القرن 17 حيث كانت هناك محاولة في تطوير النحو على يد مدرسة بورت روايال التي سعت إلى توحيد نحو عام وأضافت لغات أخرى كالفرنسية على غرار

[1]– مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، دار الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010، ص27.

اللاتينية والإغريقية، ولغاية القرن 19 ظل النحو جزء من الفلسفة فلم يكن له موضوع بحث مستقل في ذاته بل تناولته التيارات الفلسفية المختلفة، إلا أن النقلة الحقيقية التي عرفها النحو هي في القرن 20 مع ظهور اللسانيات حيث أصبح ينظر للنحو نظرة جديدة فبعد أن كان عبارة عن تحليل منطقي للجمل أضيفت إليه صفة الوصف وأصبح يدرس كنحو وصفي[1].

هذه الدراسة كانت بتأثير من المنهج التجريبي الذي سيطر في القرن 20 فدرس النحو هو الآخر بمنهج وصفي تجريبي، سرعان ما كان هناك تصادم بين نوعين من المتطلبات التجريبية سمي أحدهما بـ"الكفاية الوصفية"، والتي تقدم وصفا دقيقا لظاهرة اللغة، وهذا ما أفرز لنا القواميس الشاملة كـ "أوكسفورد" وغيرها من الكتب التي لا تلامس إلا السطح فكل ما كانت تفعله هو تمكين الشخص من معرفة معلومات سطحية على اللغة وكان الإعتقاد أنها تقدم وصفا للغة إلا أنها لم تكن كذلك فقد كانت سطحية للغاية وكل ما قاموا بتفسيره اكتشفو هم فيما بعد أنه لا يزال مجهولا، من أجل التعامل مع هذا الإشكال حاولوا إيجاد آليات غاية في التعقيد، صحيح أنهم استخدمو الدليل والتجريب إلا أن الإستنتاج لم يكن صحيحا، ولم يكن كذلك بسبب النوع الثاني الذي سمي "بشرط الكفاية التفسيرية"، والذي هو مشكلة تفسير اكتساب اللغة الذي فسروه اجتماعيا[2]، هذا ما جعل الدراسات اللسانية تتجه إلى دراسة اللغات ومقارنتها ببعضها حيث سلط الضوء على اللغة وتضاءل الإهتمام بالنحو الذي أصبح موضوعا تقليديا و"**ظاهرة التركيب قد عولجت عادة من زاوية المعنى وجرى تحليلها بمعايير ذاتية خضعت للذوق اللساني عند الباحث وبذلك فقدت التعريفات النحوية سلفا أكثر عناصرها ضرورية وهو عنصر الدقة العلمية الصارمة**"[3]، إلا أن هذا التراجع الذي عرفه النحو لم يلبث حتى كانت هنـــاك

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص27–28.

[2] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، تر: ابراهيم الكلثم، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص36–37.

[3] – ميليكا ايفنش، اتجاهات البحث اللساني، ص377.

محـــاولات عدة لإعـادة تفعيله والإهتمام به خاصة تلك التي قام بها نعوم تشومسكـي في النصف الثــاني من القرن 20 والتي أعاد من خلالها للنحو مكانته من خلال نظريته التوليدية التحويلية متأثرا بالنحو التقليــدي العقلي المنطقي.

لقد استفاد تشومسكي من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي فأخذ منها نقاط القوة وانتقد نقاط الضعف، منها عدم اهتمامه لدراسة مكونات اللغة وطرق اكتسابها وكيفية استخدامها وذلك بسبب اعتماده على ذكاء القارئ الذي لا يحلل[1]. فانتقده كذلك وعلى الخصوص في شكله العام وقواعده الغامضة وغيرها، إلا أنه تأثر به كل التأثر وحاول إعادة تفعيله ففي الوقت الذي كان فيه "نلسون فرانسيس" يحاول إظهار نقائض النحو التقليدي وتقديم النحو الوصفي كبديل وثورة على كل قديم، كان تشومسكي قد صرح أن النحو التقليدي يعبر أيما تعبير عن طبيعة اللغة وقد صرح في كتابه اللسانيات الديكارتية "**إن نظرية القواعد التوليدية التحويلية في تطورها الحالي ماهي إلا نسخة حديثة ومعدلة عن نظرية بورت روايال**"[2]، من هنا نلاحظ ممثالة نحو تشومسكي لنحو مدرسة بورت روايال خصوصا والعقلانية عموما، ومحاولة دراسته للغة عن طريق النحو هي محاولة تعتبر كأنما هي إعادة للغة لأصولها الفلسفية وصياغة تلك النظريات صياغة علمية معاصرة.

2) مفهوم النحو عند تشومسكي

أما فيما يخص المفهوم فتدل عبارة النحو التوليدي عند تشومسكي على معنيين معنى عام ومعنى خاص.

[1] – نعوم تشومسكي المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر وتعليق محمد فتيح، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993، ص58.

[2] – أحمد مؤمن اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2005، ص203.

أ) المعنى عام: حيث يقصد بالنحو مجموع القواعد اللغوية الموجودة في ذهن المتكلم، يقول تشومسكي:" **إن نحو لغة معينة هو آلية... تقوم بتعداد... جمل هذه اللغة بكيفية يكون الوصف البنيوي مشتقا آليا بالنسبة إلى كل جملة معددة**"[1] ويعرف تشومسكي النحو بأنه آلية أي مجموع القواعد التي تعطي الأوصاف البنيوية لمجموعة لا محدودة من الجمل النحوية.

من خلال تعريف تشومسكي للنحو فإنه يوضح أن العملية اللغوية هي عبارة عن مجموعة من القواعد الذهنية التي يتميز بها كلا من السامع والمتحدث على السواء، وهي التي تسمح للفرد بتشكيل الجمل الصحيحة والتعبير والفهم بطريقة جيدة، ونقصد بهذا المفهوم في كونه عام أي أنه خاصية إنسانية موجودة عند كل شخص فكل منا يحمل في ذهنه منظومة من القواعد النحوية التي تسمح لنا بإنشاء جمل لا نهائية من الكلمات قد تكون محدودة.

ب) المعنى الخاص: فقد قصد به "**النظرية التي يسعى اللساني إلى بنائها أي النظرية اللسانية التي تستطيع وصف اللغة ووصف القواعد ومعالجتها بكيفية صورية، فهدف النحو عند تشومسكي هو بناء نموذج صوري يأخذ بعين الإعتبار القواعد التي تجعل إنتاج وتأويل الجمل النحوية صحيحة**[2]، فالنحو بهذا المفهوم هو النظرية التي يبتكرها أهل الإختصاص في اللغة واللسانيات والتي من شأنها دراسة القواعد اللغوية وإنشائها، فالنظرية النحوية هي مجموع القواعد التي يقدمها اللساني والتي يرى أنها كفيلة بدراسة الظاهرة اللغوية وهي عبارة عن مجموعة من القواعد الصورية التي تمكن دراسيها من تعلم لغة ما من اللغات أو فهمها، و"**من الأفكار الشائعة أن النحو بالنظر إلى جوهره هو الشيء نفسه في جميع اللغات وإن كان يتنوع عرضيا وغالبا ما كان يأخذ الجوهر الثابت على أنه العقل**"[3]، إن النحو بالمعنى العام عند

[1]– مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص28–29.

[2] – المرجع نفسه، ص29.

[3] – نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، ص51.

تشومسكي هو تلك القواعد الموجودة في ذهن كل متكلم أو مستمع والتي تمكنه من الإنشاء والفهم الصحيح للجمل، وكذا بمفهومه الخاص هو تلك النظرية التي يسنها اللساني والتي من شأنها دراسة الظاهرة اللغوية في جوهرها ووصفها خارجيا.

فنلاحظ أن تشومسكي قد اتجه من مرحلة النحو إلى النظرية فكانت دراسته أولا للنحو العام متأثرا بالنحو التقليدي حيث بين أن النحو خاصية إنسانية ذهنية فطرية في كل فرد، ومن ثم بلور دراسته هاته إلى نظرية في اللغة وبنى قواعد نحوية تعزز من وجهة نظره وتجعل منها ندا للنظريات السابقة لها كالبنيوية والسلوكية هذه النظرية التي تعتبر تطويرا للنحو الكلاسيكي وإعادة له في ثوب جديد يواكب تطورات العصر حيث يقول: "**من الواضح أنه ينبغي أن تسند للنحو وضع نظرية قائمة على الإطرادات التي يسميها البنية التركيبية للغة وبما أن النحو مصاغ صوريا فإنه يشكل نظرية رياضية لبنية لغوية طبيعية خاصة**"[1].

رأى تشومسكي أنه من الضروري وضع نظرية للنحو تعبر عن تلك العمليات الذهنية والقواعد العقلية بطريقة منطقية رياضية ليتسنى لنا دراسة اللغة أو تعلمها.

لقد عرف القرن ال20 على أنه عصر المناهج وبهذا كانت هناك أولوية للمناهج على حساب النظريات حيث حل المنهج محل النظرية فقد كان ينظر إلى المنهج على أنه لغة العلم وعلى أنه مثال الصرامة والدقة بينما النظرية هي وسيلة لفهم العلاقات أو هي كما في المعجم الفلسفي، "**قضية تثبت بالبرهان وهي عند الفلاسفة تركيب عقلي مؤلف من تطورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ**"[2]، إن استبعاد النظرية والأخذ بالمنهج أدى إلى إهمال المعنى وكذلك الفاعلية الإنسانية والإجتماعية والتواصلية للغة وتبني المنهج في دراسة الظاهرة اللغوية

[1] – نقلا عن: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص29.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص477.

أدى إلى تقييد غير مبرر لعلم اللغة فالمنهج هو عبارة عن نظام صارم أما النظرية فهي أكثر مرونة ما يجعلها صالحة أكثر لدراسة موضوع اللغة[1].

هذا ما يفسر قول تشومسكي بالنظرية حيث نجده يطلق مصطلح النظرية التوليدية التحويلية أو النحو التوليدي التحويلي على دراساته اللغوية و لم ترد كلمة منهج في كتبه أو محاضراته ولا لقاءاته التلفزيونية قط، إلا أن الدارسين واللسانيين المعاصرون نجدهم يصطلحون مصطلح منهج على نظرية تشومسكي ذلك لما تميزت به من تقنين وضبط وتوافرها على شروط المنهج، ولعل تشومسكي آثر مصطلح النظرية لأنه رأى أنه يتماشى وطبيعة الموضوع اللغوي أكثر، فاللغة خاصية إنسانية تخضع للعوامل الذاتية والفردية للإنسان، يدخل فيها الجانب الإبداعي، أما المنهج فهو ذا طابع صارم يخص أكثر العلوم الطبيعية والتجريبية هذا ما يؤكد أن تشومسكي لا ينظر للغة على أنها علم طبيعي يطبق عليه المنهج التجريبي كباقي العلوم بل أن للغة خصوصيتها وطبيعتها المنفردة لذا جاء شومسكي بنظرية تتماشى وطبيعة اللغة.

ثانيا/ مراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية

مرت النظرية التوليدية بمراحل متعددة تبعا للتطورات في البحث اللساني فالمتتبع لأعمال تشومسكي يلاحظ التغيرات التي طرأت على نظريته ذلك لأنه على مدى نصف قرن كان يعدل ويطور منها لتكون أكثر دقة ونضجا وصمودا أمام مختلف الإنتقادات التي توجهت إليها لذا سنحاول تبيين المراحل التي مرت بها النظرية.

المرحلة الأولى: النظرية الكلاسيكية (1957)

[1] – جوهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ص121.

يعد النموذج الأول الذي طرحه تشومسكي في كتابه الثوري "البنى النحوية" الذي صدر عام 1957 وقد أطلق على هذه النظرية فيما بعد مسمى "النظرية الكلاسيكية"[1]، في المرحلة الأولى لميلاد النظرية، حيث حاول فيه إرجاع الجمل إلى مكوناتها بقواعد محدودة مبسطة بشكل مجرد عن المعنى والهدف هو تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء الجملة فقد حاول وضع نحو مختزل في مجموعة معادلات[2] حيث يقول: "**إن نظام القواعد هذا يولد عددا غير محدود من الجمل**"[3]، كذلك ركز على الخاصية الإبداعية للغة، إضافة إلى نقده للسلوكيين هذا ما يحيلنا إلى القول أن تشومسكي في المرحلة الأولى من نظريته كان بصدد هدم من أجل إعادة بناء حيث قدم انتقاداته وبنى على أثرها نظريته القائمة على نظام القواعد والتفسير لا الوصف وعلى العقل لا التجربة كما أنه أعطى ثلاث مكونات لتراكيب لغوية وهي:

1- **المكون التركيبي التوليدي:** يجعل البنية العميقة هي الأساس في توليد التراكيب اللغوية.
2- **المكون التحويلي:** يشمل القواعد التحويلية.
3- **المكون الصوتي المورفيمي:** يشمل التأثيرات الصوتية المتوفرة في المبـــاني الصرفية[4].

إضافة إلى أنه وضح سعيه في إقامة لغة شاملة من خلال قوله في كتابه الثوري البنى النحوية :"**يتناول النحو المبادئ والعمليات التي بها تبنى الجمل في اللغات المختلفة**"[5].

إن ما نلاحظه أن كتاب البنى النحوية قد عبر في ثناياه تشومسكي على جملة آرائه حول

---

[1] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005، ص205.

[2] – مختار درقاوي، نظرية شومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكادمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، تخصص لسانيات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، دس، ص5-6.

[3] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص26.

[4] – المرجع نفسه، ص63-64.

[5] – نفسه، ص13.

اللغة وكان الانطلاقة الأولى لنظريته التي ستعرف تحولات عدة فقد أعطى تشومسكي تفسيرا داخليا للغة لا خارجيا وركز على مجموعة من القواعد الصورية التي إرتأى أنها الأسلوب الأمثل في دراسة وتمثيل اللغة.

المرحلة الثانية: النظرية القياسية "الأنموذجية" (1965)

لقد أحدث كتاب "البنى النحوية" عام 1957 منعطفا جديدا في البحث اللساني إلا أن هذا لم يمنع كثير من اللسانيين من وضعه في ميزان النقد والتمحيص، بل أن تشومسكي ذاته عدل في الكثير من الأفكار التي جاء بها، وهذا ما تتميز به النظرية التوليدية التحويلية حيث أنها وكما سبق القول متطورة ومتجددة.

فقد انتقلت النظرية إلى مرحلة ثانية مع ظهور كتابه"مظاهر النظرية التركيبية" في عام 1965، وتعرف هذه النظرية بالنظرية النموذجية[1]، "**ويقترح تشومسكي هنا نظرية أكثر اتساعا للقواعد التحويلية تختلف عن التي قال بها في كتابه الأول**"[2] حيث أنه صحح وأضاف الكثير من التعديلات التي سعى من خلالها إلى الوصول إلى نحو متكامل فلقد أقر تشومسكي في كونه اعتمد على الشكل في أنموذجه الأول من دون الاهتمام بالمعنى يقول:" **فالنظرية التي أوجزتها في الفصول 3-7 اعتمدت اعتمادا كليا على الشكل دون الدلالة**"[3].

وهذا من بين ما انتقد عليه تشومسكي حيث أن النظرية المصاغة في كتابه "البنى النحوية" لا تسمح بمعالجة الجمل التي تحمل معان متعددة بل اعتمدت أكثر على القواعد المنطقية والشكلية الصورية العيب ذاته الذي أعيب على المنطق الأرسطي وهو اهتمامه بالشكل

[1] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص205.

[2] – مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، ص9.

[3] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص124.

وإهمال المعنى إلا أن تشومسكي استقبل هاته الإنتقادات بصدر رحب، فقد أضاف إلى الشكل المنطقي في دراسة المبادئ اللغوية الجانب الدلالي وقد رأى أن الأخذ بالشكل المنطقي لوحده كان خطأ[1]، فأجرى تشومسكي تعديلات على أنموذجه في كتاب مظاهر النظرية التركيبية فأصبحت مكونات اللغة كالتالي:

- **المكون التركيبي:** الذي يولد الجمل ويقوم بتحويلها إلى عدد لا نهائي من الجمل.
- **المكون الفينومولوجي:** الذي يعطي الصيغة الصوتية للمكون التركيبي.
- **المكون الدلالي:** وهو الذي يشرح معنى البنية[2].

نلاحظ تشومسكي هنا قد أضاف عنصر جديدا وأساسي كان قد أغفله سابقا وهو المكون الدلالي كما أنه دمج كلا من المكون التوليدي والتحويلي في مكون واحد وهو المكون التركيبي الذي يعتبر أساس القواعد النحوية لدى تشومسكي.

المرحلة الثالثة: النظرية القياسية الموسعة "المعيار" (1970)

نظرا لأن تشومسكي كثير التأليف والتعديل في نظريته فإن كتابته لثلاث مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة تعتبر المرحلة الثالثة من مسار تطور هذه النظرية حيث جمعهم فيما بعد في كتاب واحد بعنوان "دراسات الدلالة في القواعد التوليدية"، وذلك في سنة 1972 ويعرف هذا الشكل الجديد بالنظرية النموذجية الموسعة[3]، حيث يحوي هذا الكتـــاب على تعديلات تمس المكون الأساسي والتركيبي وإسقاط القواعد وتوليدها كما أنه يحتوي على بعض الإنتقادات التي وجهها تشومسكي إلى نظرية الدلالة التوليدية واقترح تسمية النظرية الألسنية بعد

[1] – نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ص321.

[2] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص126.

[3] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص205.

التعديل بالنظرية النموذجية الموسعة[1] ما نلمسه في هذا الأنموذج هو إبقاء مركزية التركيب وهذا ما نلحظه منذ بدأ النظرية.

المرحلة الرابعة: نظرية الربط العاملي (1981)

تعد هذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ النظرية حيث سعى تشومسكي منذ البداية إلى الوصول إلى نظرية تلخص أعماله السابقة وهي ابتكار قواعد عالمية والتي سماها تشومسكي بالنحو العالمي أو الشامل أو العام الذي يعبر عن التفكير الإبداعي للإنسان[2]، حيث حاول الإنتقال من الوصف إلى التفسير ومن لغة الفرد إلى لغة الإنسانية.

إن هدف نظرية الربط العالمي هو صياغة حلول وإجابات للقضايا الغامضة التي طرحت من قبل من خلال القواعد الكلية، وإن المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية هي التي تحدد صيغة القواعد للغات البشرية، أي أنها تجمع الفرضيات التي تشترك فيها جميع اللغات، إن ما أراد تشومسكي إثباته من خلال هذه النظرية هو أن مسألة تفسير اللغة تتم من خلال مجموعة من المبادئ أو القواعد العامة التي تتحكم في صياغة الجمل، ومن ثم فإن جميع اللغات تشترك في المبادئ ذاتها بصرف النظر عن الإختلافات السطحية والخصائص التي تميز كل لغة عن الأخرى.

نلاحظ وصول النظرية التوليدية التحويلية إلى أعلى مستوياتها وأسمى غاياتها وهي إنشاء لغة شاملة عامة، وهو الهدف الذي سعى إليه العديد من الفلاسفة العقلانيين من قبل، كما أن تشومسكي كان يؤكد في كل مرحلة من مراحل تطور نظريته ومع كل نظرية يبدعها في اللغة على فطرية اللغة وأساسها العقلي ودعم ذلك بالحجج والبراهين، إلى أن توصل إلى فكرة

[1] – ميشال زكريا، الألسنة التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص21–22.

[2] – نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ص339.

اللغة العالمية والتي أراد أن ينوه من خلالها أيضا أنه إذا ما كان عقل الإنسان واحد ففي إمكانه أن تكون لغته لغة واحدة وشاملة .

ثالثا/ عناصر النظرية التوليدية التحويلية

بعد تبيين مفهوم النحو التوليدي التحويلي ومراحل تطوره وجب إزالة الغموض على المصطلحين البارزين والمكونين الأساسيين لنظرية تشومسكي المتمثلان في كل من التوليد والتحويل.

1) التوليد

يعتبر التوليد من أبرز المفاهيم التي جاء بها النحو التوليدي التحويلي وتميز بها، ويقصد به "**القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد في كل لغة وفهمها ثم تمييزها عما هو غير سليم نحويا**"[1].

والتوليد هو نظام من القوانين والقواعد المحدودة له القدرة على تبني ضبط الجمل التي يحتمل وجودها من خلال عدد محدود من المفردات لإنتاج عدد غير محدود من الجمل[2]، وبالتالي فهو قدرة العقل على إنشاء مجموعة لا محدودة من الجمل والتصرف فيها بالتقديم والتأخير مع الإبقاء على المعنى صحيحا، وكذلك الإدراك الكلي إذا ما كان ذلك التوليد صحيحا نحويا أم خاطئا "**ويدل مصطلح التوليد... على الجانب الإبداعي في اللغة: أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي لم**

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار أحداث للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص41-42.

[2] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص17.

يسمعهـا من قبل وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة"[1]، ويعتبر تشومسكي نظريته في اللغة ماهي إلا عبارة عن عمليات توليدية بقوله: "**إن اللغة تولد مجموعة لا متناهية من التعابير لهذا السبب نطلق على النظرية اللغوية النحو التوليدي**"[2].

إن تشومسكي يؤكد من خلال القول بالعملية التوليدية على أن اللغة ذات طبيعة عقلية فطرية، فالتوليد عملية إبداعية يقوم بها ذهن الإنسان تسمح له بإنتاج وفهم الجمل المصاغة من لغته فهما واسعا صحيحا دون تعلم ودراية بالقواعد النحوية فهي عملية ذهنية فطرية تولد مع الإنسان ولا تخص أي كائن غيره،"**القواعد التوليدية...هي نظام من القوانين تتعهد وصف تركيب جمل لغة ما بطريقة غاية في الوضوح... وهذا الوضوح هو المزية الرئيسية لمثل هذه القواعد... فالقواعد التوليدية هي قواعد واضحة لا تترك أمورا تفترض أن يدركها المرء ضمنا، إنها قواعد تسير خطوة خطوة**"[3].

لقد استطاع تشومسكي أن يصوغ لنا مجموع تلك العمليات الذهنية في شكل قواعد توليدية هاته القواعد تقوم بوصف تركيب الجمل وعلاقتها فيما بينها بدقة عالية وإن حملنا لهذه القواعد على مستوى العقل وتطبيقها يسمح لنا بفهم وتعلم أي لغة كانت.

2) التحويل

"**هو العلاقة التي تربط بين تمثيلين، تمثيل أول مجرد هو البنية العميـقة وتمثيـــل مشتـق**

[1] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص206.

[2] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص31.

[3] – محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 1999، ص8.

نهائي هو البنية السطحية فأية قواعد تعطى لكل جملة في اللغة تركيبا باطنيا وتركيبا ظاهريا وتربط بين التركيبين بنظام خاص يمكن أن تكون قواعد تحويلية... فالربط بين التركيب الظاهري والباطني هو التحويل"[1]، إنه من الضروري وجود قواعد تحويلية إلى جانب القواعد التوليدية فهو عبارة عن عملية تسمح بنسج بنيات جديدة من بنية واحدة[2].

فالتحويل هو مجموع القواعد والعمليات التي يقوم بها العقل من أجل التعبير على فكرة ما وهي التركيب الباطني الكامن في العقل، ليحوله إلى جمل صوتية في تراكيب مختلفة عن طريق التحويل، فالعقل الإنساني كما يرى تشومسكي يحوي على عدد زاخر من المفردات هاته الكلمات لا تأخذ معنى معين إلا من خلال العمليات التحويلية التي يقوم بها العقل في سياق توليد الجمل.

بهذا فإن تشومسكي يفرق بين نوعين من الجمل "الجملة النواة" و"الجملة المشتقة" وهاته الأخيرة هي الجملة المحولة، فالجملة النواة تتميز بأنها بسيطة تامة وصريحة إيجابية ومبنية للمعلوم[3]، أما الجملة المحولة فتكون إما استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة... ويمكن للتحويل أن يحول الجملة النواة عدد من الجمل المحولة والتي تعطي معان مختلفة[4].

مثال: كتب الطالب المحاضرة

جملة نواة يمكن تحويلها إلى جمل استفاهمية أو جملة منفية أو مبنية للمجهول...الخ

- أكتب الطالب المحاضرة؟

---

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص56.

[2] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص62.

[3] – المرجع نفسه، ص105.

[4] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص207.

- ما كتب الطالب المحاضرة؟
- كتبت المحاضرة[1]

إن التحويل يسمح بتوليد عدد لا متناه من الجمل المحولة من جملة أولية بسيطة، كما أنه يسمح بتغيير المعنى لمكون واحد وإعطاءه أكثر من دلالة، بهذا فإنه هو الآخر عملية إبداعية عقلية من خلال توظيف القواعد التحويلية المناسبة في السياق والمعنى المناسب للموقف الخارجي، بالتالي فبداية تكوين اللغة تكون على مستوى باطني عقلي ومن ثم تحاكى ماهو خارجي لا العكس كما قال به السلوكيين.

تعتبر القوانين التحويلية قوانين فطرية ذهنية موجودة في ذهن أي شخص ويستخدمها الإنســـان في استعمالاته اليومية للغة بطريقة عفوية مثلها مثل التوليد إلا أن هذا لا يمنع اللسانيين واللغويين وأهل الاختصاص من توضيحها وجمعها في شكل قواعد نحوية وذلك من أجل إسقاطها في الدراسات اللغوية أو تعلمها عندما يخص الأمر لغة أجنبية و يود شخص ما تعلمها.

والقواعد التحويلية أربعة أنماط من القوانين حسب تشومسكي:

1- **قوانين التركيب الأساسي:** أو قوانين التركيب الباطني وهي قوانين تجريدية ذات صيغة شمولية[2]، تخص الجملة البسيطة حيث تكون الجملة النواة شاملة وعامة وتجريدية بمعنى مادة أولية كامنة في عقل الإنسان.

2- **قوانين مفرداتية:** وهي القوانين التي يتـم بواسطتها وصف مفردات اللـغة من حيث معناها

[1] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، مكتبة لسان العرب، الكويت، د ط ، د س، ص145.

[2] – محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية ، ص7.

ومبناها[1]، فالتحويل قد لا يمس الجملة فحسب بل قد يمس المفردات كذلك فهناك قوانين تحويلية تخص المفردات نقوم بتحويلها سواء من ناحية المعنى أم الشكل.

3- **قوانين تحويلية:** وهي القوانين التي يتم بموجبها تحويل التراكيب الباطنية إلى تراكيب ظاهرية[2]، وهاته القوانين هي التي يتم من خلالها اشتقاق الجمل المحولة من الجمل البسيطة.

4- **قوانين مورفيمية صوتية:** وهي القوانين التي تضع الكلمات التي في التركيب الظاهري بصيغتها النهائية من ناحية صوتية[3].

فالقوانين الصوتية هي التي تعطي الشكل النهائي الذي تخرج به الجملة وتعبر عن ما يريد الشخص البوح به حيث هناك أصوات خاصة بالإستفهام والتعجب والحدة والغضب إلى غيرها من الأصوات التي تبلور العملية التحويلية للجملة وتخرجها في قالبها النهائي.

ونظرا لتأثر تشومسكـــي بكل من المنطق والرياضيـــات فإننا نجده قد صـــاغ قواعد نظريته التحويلية بأسلوب منطقي رياضي وهذا ما يظهر في أنواع القواعد التحويلية التي تمثلت في:

أ/ الحذف: أ+ ب ⟵ ب

ب/ الإحلال: أ ⟵ ب

ج/ التوسع: أ ⟵ ب+ج

د/ الإختصار: أ+ب ⟵ ج

هـ/ الزيادة: أ ⟵ ب+ج

---

[1] – محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية ، ص7.

[2] – المرجع نفسه ، ص7.

[3] – نفسه، ص8.

و/ إعادة الترتيب: أ+ب ⟵ ب+أ[1]

ويقول تشومسكي: "**أفترض في بدايات النحو التوليدي أن الخاصية تكفلت بها عملية تنقل المركب من موقعه التأويلي إلى الموقع الذي تلفظ فيه، سميت تلك العملية التحويل النحوي، وكل نظرية لها طريقتها في تفسير خاصية النقل فكلها لديها تحويلات نحوية وما شابهها**"[2]، لذا فإن أي لغة هي تعتمد على العمليات التحويلية.

إن هاته العمليات هي عمليات تجريدية ذهنية تتم على مستوى العقل وهذا ما يؤكد الطبيعة العقلية للغة، فاللغة عملية ذهنية تتم من خلال العمليات الموضحة في المخطط الآتي:

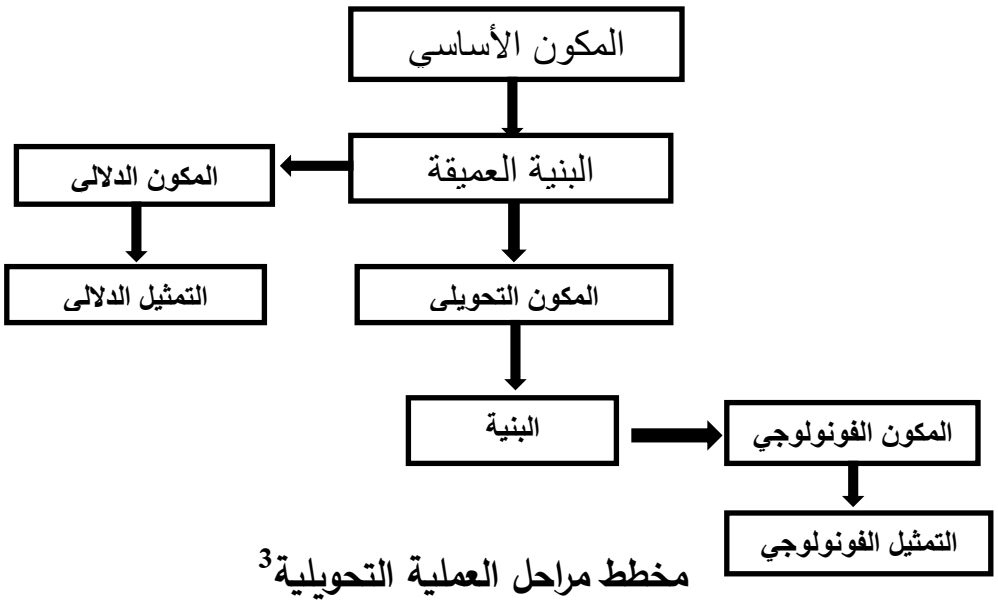

مخطط مراحل العملية التحويلية[3]

[1] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص18.

[2] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص53-54.

[3] – ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص17.

يوضح المخطط مراحل العملية التحويلية الذهنية حيث يتحول المكون الأساسي والذي هو عبارة عن بنية عميقة أو جملة بسيطة بواسطة المكون التحويلي إلى بنية سطحية ألا وهي الجملة المحولة أو المشتقة، ومن ثم تضاف إلى الجملة المكونات الفونولوجية الصوتية لتعطي لنا التمثيل الفونولوجي النهائي للجملة في سلسلة من العمليات العقلية الذهنية، وهذا مايثبت تشومسكي من خلاله ثنائية كل من اللغة والعقل.

المبحث الثاني/ أسس النظرية التوليدية التحويلية

بنى تشومسكي نظريته التوليدية التحويلية على مجموعة من الأسس والركائز التي تميزت في كونها أسسا عقلية حيث أكد من خلالها على قوله بفطرية اللغة وطبيعتها الذهنية كما أنه أحدث من خلالها ثورة على النظريات السابقة تمثلت هذه الأسس فيما يلي:

أولا/ الحدس

هو "تلك المقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة الأم بالتمييز بين الجمل النحوية والفاسدة، هي حدس المتكلم"[1].

أي أنها الملكة الذهنية التي تجعل الشخص يفرق بين الجمل الصحيحة والخاطئة سواء كان متكلما أو مستمعا دون العودة إلى القواعد النحوية.

ينطلق اللسانيين الوصفيين من المتن اللغوي المشكل من مجموع الأقوال الموجودة في لغة معينة لأنه مادة قابلة للملاحظة والوصف والتقنين ومادة جاهزة اجتماعيا، إلا أن تشومسكي يرفض هذا المبدأ فهو يرى أن اللغة تقوم على قدرات كامنة في كل من المتكلم والمستمع تجعله قادرا على إنتاج وتأويل وفهم جمل لا حصر لها وتمييز الصالح منها من الفاسد بواسطة ما أسماه بحدس المتكلم[2].

وقد استقى تشومسكي فكرة الحدس من خلال تأثره بالفلسفة العقلانية ومن ديكارت تحديدا الذي يرى أن أساس المعرفة هو الحدس والإستنباط ويؤسس منهجه العقلي على أساس حدسي حيث يرى أنها معرفة مباشرة لا تحتاج إلى برهان كذلك يرى تشومسكي أن اللغة ملكة حدسية

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص51.

[2] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص31.

عند الإنسان لا يحتاج بالضرورة إلى قواعد النحو لمعرفة الصالح منها من الفاسد بل تحدس بالعقل ويتم قبول ورفض كل منها.

وبحسب تشومسكي فإن قواعد النحو لا تكفي لتبيين صحة من خطأ الجمل بل للحدس دور أساسي في ذلك، حيث أن حدس المتكلم هو الذي يجعل الشخص قادرا على أن يميز بين صحة الجملة النحوية "جاء الولد ضاحكا"وفساد الجملة "إلى ذهب المدرسة ولد باكرا "[1].

يرى تشومسكي أننا بالحدس نستطيع اكتشاف الخلل الكامن في الجملة الثانية حيث لا تستصيغها الأذن ولا يتقبلها العقل، على عكس الجملة الأولى التي أدت المعنى ولا غرابة عند سماعها أو قراءتها، نلاحظ الجملة التالية:

"حنكف المحنكف بسقاخته في الكمظ، فحزب الخسيل حزبا قليفا" هي جملة غير مقبولة ولا معنى لها، إلا أنها حافظت على العديد من الثوابت النحوية والقواعد اللغوية لذا فالبرغم من غرابة مفرداتها إلا أنها جملة نحوية تسير وفق قواعد تركيب الجمل في اللغة العربية[2].

بالرغم من محافظة النحو على الشكل الخارجي للجملة وعلى القواعد النحوية إلا أنه قد لا يحافظ على سلامة المعنى الذي يعيه سواء المتكلم أو المستمع بالحدس وهذا ما أعابه تشومسكي على اللسانيين الوصفيين من خلال اهتمامهم بالشكل والبنية وإهمالهم للمعنـــى، في المقابل سلم تشومسكي بضرورة القواعد النحوية إلا أنه يرى أنها لا تلغي دور فاعلية الحدس الذي هو أساسا نابع من المداولة والمداومة في استعمال تلك القواعد النحوية فتتكون لدى المتكلم والســامع المثــالي معرفة ضمنيــة بقواعد اللغة فقد يكون المتكلم غير مهيأ لقــول جمل

[1] – مصطفى غلفالن، اللسانيات التوليدية، ص32.

[2] – المرجع نفسه، ص32.

تتناسب وقدراته اللغوية، فالإنسان معرض لأن يقول جملا غير صحيحة إلا أن الحدس يعتبر آلية نستطيع من خلالها التمييز بين الجمل الصحيحة والخاطئة وهي آلية سريعة الحكم حيث تعبر عن ردات فعل الإنسان التلقائية والعفوية والتي تمكن الإنسان من التفريق بين الخاطئ والصحيح دون إمعان النظر في القواعد النحوية اللغوية.

ثانيا/الكفاءة اللغوية والآداء الكلامي

ننوه إلى أنه ورد مصطلح الكفاءة بعدة تسميات "الكفاءة" أو "الكفاية" كذلك "الملكة" أو "القدرة"، كذلك مصطلح الأداء يطلق عليه "الإنجاز" أو "التأدية" وهو اختلاف في التسمية والترجمة بين الباحثين والمراجع لا غير إلا أنهم يؤدون المعنى ذاته.

1) الكفاءة اللغوية

وهي الملكة اللغوية وهي "**قادرة على تقديم عدد لا محدود من التعابير التي يمكن لأنساق الإنجاز الموجودة قبلا أن تتحصل عليها كالأنساق الحسية والحركية والأنساق التصويرية القصدية**"[1]،حيث يرى أنها مجموع القدرات العقلية التي تزود الحس بعدد لا محدود من التعابير الأولية التي تحولها الأعضاء الحسية إلى لغة منطوقة و التي تشكل لنا اللغة.

كما أن "**الملكة هي المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها المتكلم منذ طفولته وتبقى راسخة في ذهنه فتمكنه فيما بعد من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل إنتاجا ابتكاريا لا مجرد تقليد ساكن ثم التمييز بين ما هو سليم وبين غيره**"[2]، فالملكة أو القدرة أو الكفاءة هي تلك القواعد اللغوية التي يحملها الإنسان في

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص43.

[2] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص44.

ذهنه من دون وعي منه بذلك وهي التي تجعله يفرق بين الصائب من الجمل من الخاطئ، فمثلما تشتمل اللغة على نسق معرفي واحد يخزن اللغة فإنها تحوي على أنساق بمعنى أنظمة لها القدرة على إيصال تلك المعلومات، تسمى بالأنساق الآدائية وأنساق الإنجاز فهذه الأنساق الآدائية تتحصل على المعلومات المخزنة في الملكة اللغوية[1]. فالملكة هي التي تزود الآداء بالمعلومات النحوية لإنشاء اللغة.

2) الآداء الكلامي

التأدية هي"**الممارسة الفعلية والآلية لهذه الملكة وإخراج لنظامها اللغوي الضمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف مادية متنوعة**"[2].

أما الآداء الكلامي فهو التطبيق الواقعي والإستعمال الفعلي لمجموع القواعد الذهنية حيث يتم تجسيدها على شكل جمل نحوية.

هناك مجموعة من العوامل التي تتدخل في عملية الآداء الكلامي مما يجعل هذه العملية متغيرة من شخص لآخر، منها الظرف والسياق الذي يتم فيه الكلام كذلك الحالة النفسية والصحية للمتكلم وما يمكن أن يختلجه من انفعالات كذلك التفاوت في المستوى الثقافي للأشخاص وغيرها من العوامل التي تجعل الآداء الكلامي يختلف من شخص لآخر إلا أن الكفاءة اللغوية هي واحدة عند جميع الناس[3]، فإنه بالنسبة للكفاءة هي معرفة الفرد بقواعد لغته أما الآداء فهو الاستعمال اللغوي لهذه القواعد بالتالي فإن العلاقة بين الكفاءة اللغوية والآداء الكلامي هي علاقة تكامل.

---

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص27.

[2] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص44.

[3] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص43.

يعتبر الأساس الثاني من النظرية التوليدية التحويلية المتمثل في الكفاءة والأداء الكلامي حجة يعتمد عليها تشومسكي في إثبات الطبيعة العقلية للغة.

ولفهم هاته الحجة وهذا الأساس فلنوضح وجهة نظر النظرية التوليدية التحويلية في اكتساب الطفل للغة، حيث نجد المدرسة السلوكية ترى أن اللغة ماهي إلا عبارة عن مثير واستجابة وأن الطفل يتكرر سماعه لأشكال لغوية معينة فيكتسبها ويمارسها ممارسة ميكانيكية فتصبح ضمن عاداته السلوكية اللغوية، إلا أن النظرية التوليدية التحويلية تعارض هذا الرأي وترى أن اللغة ليست مجموعة محدودة من التعبيرات التي يرتبط كل منها بموقف واستجابة محددة، ولا يمكن للغة أن تكون اكتسابا وتقليدا أو تكرارا، "**فالطفل الموجود في مجتمع لغوي معرض لمجموعة محدودة غالبا ومشوهة... ورغم ذلك ينجح في بناء استنباط نحو لغته مطورا معرفة معقدة جدا**"[1]، ثم إن الإنسان لو كان يتعلم اللغة أو يكتسبها من محيطه لكان جميع الناس يتحدثون باللغة ذاتها والجمل ذاتها في المواقف ذاتها، إن اكتساب الطفل للغة لا يعني تكراره لما يسمعه وتخزينه بل هو يحمل مجموع الصيغ والأداءات ويقوم بتحليلها في دماغه وهو مزود فطريا بالقدرة على هذا التحليل، ومن ثم يستخرج قوانين لغوية عامة يختزنها في دماغه ومن ثم يعيد بنائها بأسلوبه الخاص[2]، فيصبح بإستطاعته توليد جمل جديدة وتصحيح الخاطئة وفهم تلك التي لم يسمع بها قط من قبل، ذلك بفضل الكفاءة الفطرية العقلية والأداء الكلامي حيث أن كلا منها يساهم في تعزيز الآخر في مرحلة الطفولة إلى غاية اكتمال الكفاءة

[1] – نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، تق: جون راكمان، تر: أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، تونس، لبنان، ط1، 2015، ص145.

[2] – أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التحويلي، مجلة كلية التربية، العدد السادس، كلية الأداب، جامعة واسط، د س، ص34-35.

فيبقى الأداء ابتكاري تجديدي إبداعي، حيث "**يمكننا أن نعتبر أن اللغة أكثر من حالة للملكة اللغوية**"[1] هذه الملكة التي ليس لها علاقة بأي عوامل خارجية أو اجتماعية، بل هي قدرة عقلية فطرية تظهر شيئا فشيئا وتكتمل مع النمو العقلي لإنسان على عكس الأداء الذي تؤثر عليه العوامل المحيطة والعوامل النفسية، ومن هاهنا تخرج الأخطاء والهفوات والمغالطات اللغوية فهي عبارة عن سوء استخدام الأداء للكفاءة بمعنى أن التأثيرات والإنفعالات الخارجية تؤثر سواء على التعبير بشكل سليم أو الفهم.

إن ثنائية الكفاءة والأداء تحيلنا إلى ثنائية سابقة عليها قد تناولناها في الفصل الأول وهي ثنائية اللسان والكلام عند دوسوسير فكما سبق وذكرنا أن دوسوسير اعتبر اللسان (اللغة) واحدا عند جميع الناس بينما يختلفون في الكلام كذلك هو الحال عند تشومسكي الذي اعتبر الكفاءة واحدة عند جميع الناس بينما الإختلاف يكمن في الأداء، وهذا ما يميز شخص عن آخر يقول "نيكولاروفي" :"**إن التمييز بين القدرة والإنجاز عند تشومسكي قريب جدا من التمييز بين اللسان والكلام عند دوسوسير**"[2]، وكذلك نجد شومسكي يشير إلى التشابه الحاصل بين الثنائيتين حيث يقول: "**إن التمييز الذي أشير إليه يقترب من ثنائية اللسان والكلام غير أنه من الضروري رفض تصور دوسوسير للسان**"[3]، رفض تشومسكي تصور دوسوسير للسان ذلك أن هذا الأخير اعتبر الكفاءة أو اللسان كما يصطلحه سوسير، أنها عبارة عن نسق لغوي يكتسبه الإنسان من مجتمعه الخارجي ويقوم بتخزينه كمفردات وقواعد ومن ثم يعيد استخدامها بهذا تكون اللغة كتلة ثابتة مخزنة، إلا أن تشومسكي يرفض ذلك فهو يرى أنها قدرة عقلية ديناميكية إبداعية متجددة.

---

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص12.

[2] – نقلا: عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص44.

[3] – المرجع نفسه، ص44.

"**من هناك تقرر عند جومسكي أن مهمة اللغويين ينبغي أن تهتم بإنشاء نظرية للبنية اللغوية تظهر فيها الوسائل الوصفية التي تستخدمها أنظمة معينة للقواعد وتدرس بأسلوب التجريد دون الإشارة إلى أية لغة معينة**"[1]،فقد ناشد تشومسكي اللسانيين واللغويين إلى ضرورة دراسة النحو اللغوي لا اللغات ودعا إلى إقامة نظريات للدراسة القواعد النحوية، قواعد عامة يصلح تطبيقها على جميع اللغـات لا تخص أي لغة على حدى قواعد تدرس الكفـاءة لا الأداء، فقد كانت أهمية التحول الذي قام به في أنه تحول من السلوك أو ما ينتجه السلوك إلى حـالات العقل[2]، فلطالما اعتبر تشومسكي أن أساس الدراسة هو الكفاءة لا الأداء كما ذهب إليه البنيويون والسلوكيون الذين ركزوا على دراسة السلوك اللغوي وأهملوا الكفاءة والتي هي منبع هذا سلوك المتمثلة في القدرات الذاتية العقلية.

ثالثا/البنية العميقة والبنية السطحية

يعتبران من بين الأسس التي بنى عليها تشومسكي نظريته التوليدية التحويلية.

1) البنية العميقة

إن"**البنية العميقة هي التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا وهي أول مرحلة من عمليات الإنتاج الدلالي للجملة**"[3]، بالتالي هي عبارة عن الجملة كفكرة في ذهن المتكلم أو هي المادة الخام التي تتكون من مجموع الكلمات والقواعد الذهنية الموجودة في الذهن قبل التمثيل الفعلي لها.

[1] – أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التوليدي، ص37.

[2]– نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص54.

[3] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص52.

2) البنية السطحية

أما "**البنية السطحية فهي تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة، أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة**"[1].

يبدو أن هناك اختلاف بين نوعين من الخصائص الدلالية خصائص البنية العميقة والبنية السطحية، حيث تقوم هاته الأخيرة بتمثيل الأولى من خلال العمليات التركيبية[2].

إن البنية السطحية هي التجسيد المنطوق للبنية العميقة وهي الشكل النهائي لمجموع العمليات والتحويلات الذهنية فالبنية السطحية مشتقة من البنية العميقة، بالتالي فإن الجملة في النظرية التوليدية التحويلية تحمل بنيتين، عميقة وأخرى سطحية ويقوم المكون التحويلي بالربط بينهما

المعنى الشكل المستعمل في التواصل[3]

يقول تشومسكي: " **يبدو على السطح كما لو أن اللغات تختلف إختلافا جذريا عن بعضها لكن هذا يعود إلى معرفتك بالمبادئ عندما تكتشف المبادئ سترى أنهما مماثلة إلى حد بعيد في الحقيقة وأن الاختلافات بينها سطحية إلى حد بعيد**[4]، فمهمة المكون التحويلي هو تحويل

[1] ، شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص53.

[2] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص56.

[3] – أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص41.

[4] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص41.

البنية العميقة والتي هي عبارة عن مفردات وأدوات وغيرها إلى بنية سطحية، بمعنى جملة مفيدة ذات معنى معين والبنية العميقة تتميز بكونها تستطـــيع أن تتجسد في عدة جمل مختلفة ذلك متوقف على العمليـات التحويـلية وعلى المعنى المراد إنجازه، من هنا نستنتج كذلك أن البنية العميقة ثابتة عند جميع الناس بينما الاختلاف يكمن في البنية السطحية والشكل الذي تظهر به الجملة.

رابعا/الإبداعية

تعد هذه الفكرة من بين ما دافع عنه تشومسكي في سياق نظريته العقلية، فاللغة حسبه هي نتاج عقل مبدع ابتكاري مجدد "**وهي استعمال لنظام اللغة استعمالا ابتكاريا تجديديا لا مجرد تقليد سلبي لقواعده، إنها تتمثل في القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من العدد المحصور من الكلمات والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم**"[1]، حيث يصرح تشومسكي قائلا:" **أعتقد أن اللغة قبل كل شيء هي وسيلة لإبداع الفكر**"[2]، وأعاد تشومسكي إحياء هذه الفكرة نظرا للجمود الذي عانى منه الدرس اللغوي جراء قول السلوكيين في كون اللغة ثابتة وماهي إلا عبارة عن مخزون من الكلمات التي يعاد استخدامها حيث "**يهتم النحو التوليدي بصورة أساسية بذكاء القارئ**"[3]، نلاحظ أن فكرة الإبداعية قد كانت حاضرة في القرن ال17، إلا أنها أهملت تدريجيا خلال تطور اللسانيات البنائية والسلوكية، وإن كان هناك من قال بها من

[1] –شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص47.

[2] – بريتيل ألبرج، مدخل إلى اللسانيات، تر: السيد عبد الضاهر، مرزوق صبري التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص304.

[3] – نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص59.

أمثال "أندريه مارتينيه" الذي تكلم على تنوع الفونيمات وغيرها إلا أن القول السائد آنذاك هو ما ذهب إليه الوصفيون والسلوكيين[1]، الذين أهملوا هذا الجانب كما سبق التفصيل.

ويعود مفهوم تشومسكي للإبداع إلى رأي"همبولت"* القائل أن اللغة يجب أن تصنع من وسائل نهائية استعمالا لا نهائيا، فالخاصية الإبداعية هي خاصية عالمية تخص جميع اللغات، واللغة هي وسيلة مهيئة لتعبر عن كل المواقف والإختلاجات بإختلافها وتنوعها، والخاصية الإبداعية هي خاصية إنسانية فطرية تعكس الوعي الإنساني وتفعل دوره[2]، ويفند تشومسكي أفكار كل من السلوكيين والبنيويين وذلك من أجل إعادة فاعلية العقل وإعادة دور الإنسان الذي غيب وأهم فكرة ناتجة عن الإبداعية لدى تشومسكي هي فكرة الحرية، فالإنسان حر في استخدام أفكاره، والقواعد التحويلية هي قواعد مرنة، للإنسان الحرية في استخدامها وليس مقيدا أو تعطيه له السلطة الإجتماعية والإكتساب الخارجي كما أنه غير مرتبط بمثير خارجي واستجابة.

والإبداع نوعان:

الأول: "إبداعية تغير نظام اللغة ومحلها التأدية فكل الإنحرافات الإجتماعية والنفسية (ضعف الذاكرة، التعب، الثقــافة،...) التي تتباين من فرد لآخر قد تؤدي إلــى تغيــر في ملكة هذا المتكلم"[3].

---

[1] – ميشال زكرياء، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص29.

[*] - فيلهم فون همبولت "wilhelm von humboldt" (1767–1835)، فيلسوف في اللغة وعالم ودبلوماسي مؤسس جامعة هامبولت ببرلين، يرى تنوع اللغات من تنوع العقليات،وأن تفوق لغة ما على لغة أخرى هو دليل على التفوق الذهني لأصحاب تلك اللغة. انظر: السعيد شنوقة مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2008 ص35.

[2] – جوهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ص134–135.

[3] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص48.

وهذا النوع من الإبداع يمس الأداء أي الكلمات المنطوقة وهو ناتج عن تأثيرات خارجية كانت أو داخلية إيجابية أم سلبية تؤدي إلى إبتكار صيغ جديدة غير مألوفة سابقا لدى المتكلم هي في الحقيقة انحرافات.

الثاني: "الإبداعية التي تحكمها القواعد وتوجهها ومجالها الملكة وهي التي تسمح لنا بتوليداللانهائي من النهائي بفضل الطاقة الترددية لقواعدها"[1].

يخص النوع الثاني من الإبداع الكفاءة، فالصفة الجوهرية للكفاءة هي كونها إبداعية فالعقل دائم التجدد والإبتكار، والإبداع الأداتي ماهو في الأصل إلا نابع من الإبداع العقلي الدائم ويتصف الإبداع في اللغة بالمميزات التالية:

_ إن استعمال اللغة طبيعي تجديدي[2] بمعنى أن اللغة متنوعة متغيرة في طبيعتها العقلية، فالعقل عقل حيوي ابتكاري ليس جامدا.

_ لا يخضع استعمال اللغة لأي حافز ملحوظ بل هو حر[3] اللغة هي عملية حرة وعملية فردية نابعة من الذات الإنسانية لا تتدخل فيها التأثيرات الخارجية والمجتمع.

_ يثبت استعمال اللغة وتماسكها وملاءمتها لظروف المتكلم[4]، هذا من خلال الخاصية الإبداعية للغة حيث أنها تجعل اللغة مسايرة للمتكلم في جميع حالاته فيكون قادر على التعبير عن كل اختلاجاته بكل حرية وبدون قيد.

إن اللغة حسب تشومسكي محكومة بقواعد نحوية يدخل في تشكيلها مجموع من الأسس التي أثبت أنها عقلية فطرية في الإنسان، والتي مثلها تشومسكـي في الحدس والكفاءة والبنيـة العميقة

---

[1] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، ص48-49.

[2] – ميشال زكرياء، الألسنة التوليدية وقواعد اللغة العربية، ص30.

[3] – المرجع نفسه، ص30.

[4] –نفسه، ص30.

والإبداع فكل هاته الخصائص هي خصائص عقلية فطرية في كل إنسان.

المبحث الثالث/ خصائص وأهمية النظرية التوليدية

تتميز النظرية التوليدية على غيرها من النظريات بمجموع من الخصائص كما أن لها أهمية بالغة نظرا لتطور الذي أحدثته في مجال اللسانيات اللغوية وفي هذا المبحث سنحاول تسليط الضوء على أهم الخصائص التي حافظت عليها النظرية كما أننا سنبين أهمية كل منها.

أولا/ خصائص النظرية التوليدية التحويلية

بالرغم من التطورات التي مست النظرية إلا أنه هناك مجموعة من الخصائص التي اتصفت بها ولم يمسها التغيير والتعديل، نجد من بين هاته الخصائص ما يلي:

1) العقلانية

تعتبر أهم خاصية ميزت النظرية التوليدية التحويلية في كونها عقلية فالمتتبع للنظرية يرى أن الفلسفة العقلانية من أهم الركائز التي اعتمد عنها عنها تشومسكي في بناء نظريته.

فقد جاءت النظرية في ظل سيادة النزعة التجريبية الرافضة لكل أشكال التعامل مع المفاهيم والمبادئ الذهنية، فحاول تشومسكي أن يبين أهمية تاريخ الفكر العقلاني وأن يبين الأصول الفكرية لتصور اللساني الجديد الذي جاء به في دراسة اللغة، حيث بين كل من فلسفة ديكارت ونحو بورت روايال وكذلك آراء اللغوي "هامبولت"[1]، إضافة إلى أنه استفاد من أفكار أستاذه "هاريس"* العقليـــة، إن معالجة تشومسكـــي لآراء العقلانيين ليـــس من سبيـــل السرد

[1] – مصطفى الغلفان، اللسانيات التوليدية، ص205.

*-زليج سابيتي هاريس "zellig sabbettai harris" (1909–1992)، عالم لساني وحاصل على الدكتوراه ودرجة الإجازة مؤسس علم اللغة الوصفي، كان أستاذ لتشومسكي، انظر: وليد السراقبي، الألسنية مفهومها ومبانيها المعرفية ومدارسها، ص139.

التاريخـــي بل من سبيل إعادة الإحياء وتوضيح القيمة المعرفية التي جاء بها أولائك الفلاسفة والتي من الممكن أنها لم تأخذ حظها في الدراسة أو الظهور، حيث يرى في كتابه "بنيان اللغة" أن التطور الحاصل يسمح بالرجوع إلى الأسئلة القديمة وإعادة صقلها بشكل يمكنك من محاولة الإجابة عنها، لقد كان الأمر بمثابة بقاء القضايا التراثية لدراسة اللغة مع التطورات الجديدة في العلوم التصورية وأتاح إجتماع هذين الأمرين تدشين ميدان النحو التوليدي [1]، فتبنى تشومسكي وجهة نظر العقلانيين وبنى نظريته على أثرها فقد نظر للغة على أنها خاصية عقلية فطرية ذهنية، فجاء بنحو مشابه للنحو مدرسة بورت روايال وكذلك تبنى الحدس الديكارتي ونظر إلى اللغة على أنها خاصية ابداعية مثلما نظر إليها "هامبولت".

2) الإستنباط

يتبنى النحو التوليدي المنهج الإستنباطي وهذا عائد لتأثر تشومسكي بكل من الرياضيات والمنطق اللذان يعتمدان على الإستنباط فقد أراد تشومسكي صياغة نظرية لغوية، بدقة الرياضيات كما أنه دعا إلى إقامة نظرية صورية ذهنية تقوم على أسس منطقية.

و"**يعتمد النحو التوليدي ضمن منطلقاته التأسيسية موقفا علميا يميزه عن غيره من التيارات اللسانية... وتبني النظرية التوليدية الصريح للمنهج الفرضي الإستنباطي أي ذلك التصور العلمي الذي يرى أن تطور العلوم مرهون بوضع فرضيات كلية وشاملة ثم التحقق منها على ضوء المعطيات الواقعية**"[2]، وقولنا أنه تميز بهذا المنهج هذا عائد إلى تبني باقي النزعات اللسانية المنهج التجريبي الإستقرائي، لذا فإن اللسانيات التوليدية شذت الطريق عن ما كان سائدا، فرأى تشومسكي أن دراسة اللغة تكون عن طريق وضع الفرضيات ومن ثم التحقق

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص35.

[2] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص210.

منها واقعيا ثم استخلاص النتائج والقوانين فتنتج اللغة من رحم القوانين على عكس ما كانت تدعو إليه البنيوية من وصف البنية اللغوية كما هي خارجيا وإسقاط القانون عليها فيصبح القانون تابع للغة لا العكس.

وقد سعى تشومسكي إلى جعل اللغة علما من خلال تبني المنهج الفرضي الإستنباطي نظرا لإمكانية التعميم والتنبأ في النتائج المستنبطة[1].

هذا التعميم الذي سعى من خلاله تشومسكي إلى تحقيق أحد أهدافه وهو إقامة لغة شاملة عالمية، حيث سعى إلى إقامة نحو عالمي يمكن تطبقيه على كل اللغات وهذا من خلال مبدأ التعميم، وإضافة إلى التعميم فإن المنهج الاستنباطي يسمح بالتنبأ وهذا ما تميزت به اللسانيات التحويلية التوليدية على اللسانية الوصفية فبينما اكتفى الوصفيون بوصف الظواهر اللغوية وتبيان خصائصها تعدى النحو التحويلي إلى التنبأ بالظواهر اللغوية المشابهة ومحاولة إيجاد حلول لها وهذا كان مفيدا جدا خاصة فيما يخص علم النفس في دراسة الإضطرابات النفسية.

3) الأسلوب الغاليلي

نكرر دائما الإشارة إلى تأثر تشومسكي بالعلماء والعلوم سواء المعاصرة أم الكلاسيكية وكيف أنه حاول أن يستفيد منها ومن منهجها في دراسة الظواهر الطبيعية والرياضية وتطبيقها على الظواهر اللسانية، محاولا مماثلة العلماء في اهتمامهم بالجانب النظري والتقنيني على الظواهر الواقعية.

فعندما اتهم النحو التوليدي بإقتصاره على تناول الوقائع اللغوية تناولا شاملا عاما والإعتماد على معطيات اللغة الإنجليزية دون غيرها رد تشومسكي: "**إن الوقائع ليس لها أي قيمة في ذاتها إن تنظيمها لا يهمني ولا أعتقد أن اعتبار كل الوقائع هدف معقول... فإن ما**

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص210.

يبدو لي أكثر أهمية هو اكتشاف الوقائع التي تكون حاسمة في تحديد التبيان والمبادئ الخفية الأكثر عمقا، إن اعتبار كل الوقائع في العالم الفيزيائي لم يكن قط هدف الفيزياء بالمعنى الذي يتصوره الكثير من اللسانيين في كون النحو يجب أن يراعى كل الوقائع اللغوية"[1] هذا ما يختلف به تشومسكي عن اللسانيات الوصفية حيث أنه حاول تجاوز الوصف الواقعي إلى التصور النظري "**إن نشاطا علميا بما يقتضي شيئا آخر غير الجمع البسيط للوقائع المدروسة إنه يتطلب بناء معماريا وتصوريا"**[2].

فمن خلال محاولة تشومسكي دراسة اللسانيات دراسة مماثلة للمناهج الفيزيائية والرياضية فقد سعى للرقي بها إلى مستوى أكثر دقة وضبطا وتجريدا، فقد دعا إلى اتباع ما اصطلح عليه الأسلوب الغاليلي أي الاهتمام القليل بالمعطيات مقابل الاهتمام المتزايد بالعمق التفسيري وبالمبادئ[3].

يندرج هذا ضمن محاولة تشومسكي جعل اللسانيات علما هي الأخرى وذلك من خلال الاهتمام بإقامة نظريات لسانية تصويرية تجريدية والإهتمـام بالضبط المنهجـي والتقنينـــي هذا الضبط الذي انبهر به تشومسكي في العلوم الدقيقة والفيزياء ودعا إلى اتباعه في دراسة الظواهر اللسانية والتخلي على المنهج الوصفي الذي يعنى بدراسة الوقائع المختلفة والمتشابكة التي من شأنها أن تؤدي إلى كثرة النظريات والدراسات وتشعبها دون أية فائدة، فقد دعى تشومسكي إلى الإهتمام بالجانب النظري ومحاولة دراسة البنية العميقة للغة لا السطحية مع التعميم في سبيل السعي إلى قوانين عامة وشاملة وثابتة.

---

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص210.

[2] – المرجع نفسه، ص212.

[3] – نفسه، ص213.

في إطار تأثر تشومسكي بالعقلانية والعلوم الدقيقة والنظرية فإننا نلمس أسلوب العالم في دراسته اللغوية هذا الأسلوب الذي يبدو أنه قد أخذه من الأسلوب الغاليلي.

حيث بحث هذا الأسلوب "الغاليلي" على الإنتقال من العناية بالمواد والمعطيات الى العناية بعمق التفسير، ووضع مفهوم دال للغة، فيصبح موضوع عقلاني يقوم على أساس تجريدي، فالتقدم الحاصل في العلوم الطبييعية سببه الدراسة التفسيرية في عمق الظواهر لا الإكتفاء بوصفها.[1]

ولكن ليتحقق هذا الأسلوب وجب توفر بعض الشروط التي تميز بها وحذا حذوه الأسلوب التشومسكي والتي تتمثل فيما يلي:

أ) التجريد

حاول من خلاله تشومسكي إعطاء تفسير علمي دقيق للغة وتغيير النظرة التقليدية الوصفية وإقامة نظرية لغوية جديدة قائمة على أساس تجريدي تهتم بعمق التفسير للظواهر اللغوية .

ونقصد بالتجريد "**عند الفلاسفة هو انتزاع النفس عنصرا من عناصر الشيء والتفاتها إليه وحده دون غيره، مثال ذلك أن العقل يجرد امتداد الجسم عن كتلته** " [2].

ويعنى هذا حسب تشومسكي دراسة الظاهرة دراسة تجريدية تصورية ذهنية بمعزل عن كتلتها الجسمية وعن وجودها الواقعي الشكلي، يقول: "**بداية من مطلع الستينيات كانت المقاربة طبيعية، محاولة تجريد مبادئ وخصائص عامة للأنظمة القواعدية واعتبارها خصائص الملكة**

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 213.

[2] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 246–247.

اللغوية نفسها"[1]، ويتفق كل من تشومسكي وغاليلي في كون أن الباحث عاجز عن دراسة كل الظواهر بكل اختلافاتها وتعددها لذا فإنه يلجأ إلى التجريد وذلك بوضع قانون عام يصلح على كل الظواهر المتشابهة، كذلك الفرضيات تدخل في سياق التجريد، فإن افتراض الباحث للإمكانية وجود ظواهر مخالفة لتلك الظواهر الموجودة ومحاولة إثبات ذلك، هو عملية تجريدية، فالكثير من النظريات تم اكتشافها من خلال العمليات الذهنية التجريدية والفرضيات، مثال ذلك الهندسة اللاإقليدية سواء هندسة "ريمان" أو " لوباتشوفسكي" فقد تم اكتشافها من خلال البرهان بالخلف وهو افتراض عكس القضية ومحاولة تبيان بطلانها فقد افترض كل من "ريمان" و"لوباتشوفسكي" نقيض مسلمة التوازي الخامسة (من نقطة خارج مستقيم لا يمكن رسم إلا مستقيم واحد) والتي من خلالها توصلا إلى نتائج صحيحة هذا ما أدى إلى إكتشاف هندسات جديدة وقفت الند بند مع الهندسة التقليدية.

فتشومسكي يدعو اللغويين أن تكون دراساتهم الوصفية تستند إلى أنظمة قواعد ناجحة وأنه يجب أن تكون النتيجة النهائية لبحوثهم هي إنشاء نظرية تصورية متمثلة في مجموع القواعد التي استخلصت من البحث، حيث تظهر في هذه النظرية الوسائل الوصفية التي استخدمها نظام القواعد ويجب أن تدرس بأسلوب التجريد[2]، كما أنه دعى إلى اتباع الأسلوب الغاليلي وذلك بالتوجه نحو التجريد لأن التجربة الحسية لا تعطينا دائما الحقائق، فغاليلي لم يتوصل إلى نظرية دوران الأرض حول الشمس بواسطة المشاهدة الواقعية والتجربة الحسية بل كانت عبارة عن افتراضات تجريدية مبرهنة عقليا ومنطقيا، كذلك تشومسكي الذي جاء بالنظرية التوليدية التحويلية التي كانت مخالفة لما كان سائدا في اللسانيات يرى أنه على العالم تجاوز

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص 38.

[2] – نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص13.

المعطيات الحسية والمعارف السابقة بل وجب الثورة عليها والإجتهاد لإكتشاف حقائق جديدة بواسطة التفسير، فهذا يفتح باب التقدم في العلم عامة وفي اللسانيات خاصة وهذا من خلال إعمال العقل.

ب) الترييض

تكمن قدرة العالم سواء كان الطبيعي أو اللساني في ترييض المبادئ والقوانين التفسيرية فكلما صيغت النظرية في أسلوب رياضي كانت أكثر دقة وأقرب إلى اليقين فقد سعى غاليلي إلى إيجاد نسق رياضي يستوعب قوانين النظام الفلكي وقد وافقه تشومسكي في ذلك حيث دعى اللسانيين أن يهتموا بالأسلوب الرياضي والمنطقي في صياغة النظريات اللسانية[1].

وقد هدف تشومسكي من تطبيق المنهج الرياضي والمنطقي على الدراسات النظرية، إلى بناء نموذج لساني ولغوي ينطبق على اللغات جميعا، نموذج لساني بأسلوب رياضي تقنيني هذاالأسلوب الذي يتمتع بالمرونة وبقدرة تطبيقه على نماذج لسانية مختلفة، فلطالما كان الأسلوب الرياضي لغة العلوم، حيث كانت هاته الأخيرة تصاغ بأسلوب رياضي يفسر بنية علاقاتها فيما بينها، فنجد معظم العلوم التي اعتمدت على الصياغة الرياضية تطورت من خلالها، مثل الفيزياء والعلوم الطبيعية التي ذاعت وحكمت زمام التطور العلمي في العصر المعاصر لذا دعى تشومسكي أن يحذو العلم اللساني حذوه، من أجل السير نحو التطور والتقدم وجعل اللسانيات تواكب تطورات العصر، وأن تتبنى هي الأخرى النموذج الرياضي هذا ما برز في قواعد النظرية التوليدية التحويلية لدى تشومسكي، والتي كانت محاولة جادة في ترييض اللسانيات وتغيير مسارات الدراسة من النظرة التجريبية إلى النظرة التفسيرية العقلية.

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص216.

ج) المرونة الإبستومولوجية

تميزت النظرية التوليدية التحويلية بكونها نظرية إبستومولوجية أي أنها جاءت لنقد بعض النظريات السابقة والمعاصرة لها.

والإبستومولوجيا لفظ مركب من مقطعين"ابستيما" وهو العلم و"لوغوس" وهو النظرية أو الدراسة، والإبستومولوجيا تأتي بمعنى نظرية العلوم أو فلسفة العلوم بمعنى دراسة مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية[1].

وكون الإبستومولوجيا دراسة نقدية، فالنقد كمنهج قد ظهر مع "إيمانويل كانط" الذي نقد العقل في كتابيه "نقد العقل العملي" و"نقد العقل المحض" حيث أعطى حدودا للعقل وعين مجال دراسته وإمكانياته المعرفية وقد تأثر تشومسكي بكانط في أسلوبه الإبستيمولوجي وذلك من خلال رفضه للتفسير الوصفي والسلوكي للغة، فوجه لهما سهام النقد وأقام على أنقاضهما نظريته التوليديــة القــائل فيها بثنائية العقل واللغـة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تشومسكي رأى أن "**النظريات التي بلغت درجة من العمق التفسيري في مجال محدود يجب أن لا تنحني بمجرد تقديم الحجة على أنها تتعارض مع التجربة كما تظهر في الإحساس العادي، ويجب أن يتوفر الإستعداد عند الباحثين لإحتمال أن تظل بعض الظواهر بدون تفسير**"[2]، فإن النظرية دائما هي مهددة بأن تفندها التجربة، إلا أنه عليها أن تبقى صامدة أمام تلك الظواهر الفردية وأن لا تهتم بها ولا تلقى لها بالا[3]، ويرى تشومسكي أنه عندما يواجهنا ما يتعارض مع افتراضنا علينا أن نتساءل ما إن كان هذا التعارض مبررا، وعندما تكون لدينا فرضية تبدو غير

---

[1] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص33.

[2] – عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر،المغرب، د ط، 1989، ص26.

[3] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص48.

ضرورية تصوريا فإنه علينا إيجاد تفسير لها تجريبيا، ويمكن أن نتخطى ذلك التفسير إلى فرض جديد يكون أعمق وأبعد مدى من سابقيه[1].

فوجود نظرية مضادة لطرح ما هذا لا يعني التخلي عن الفرضية المتبناة، بل على العالم أن يتمسك بنظريته وعلى العلماء والباحثين كذلك أن يتقبلوا وجود نظريات صادقة من دون وجود تفسير واقعي لها، فقبل التطور التكنولوجي والتقني لم يكن هناك تفسير واقعي لنظرية غاليلي حول دوران الأرض كما أن نظريته كانت نقدية ومعارضة لما كان سائد في العصور الوسطى، ولقد دفع حياته ثمنا لهذا القول، ورغم انتصار الكنيسة آنذاك إلا أن العلم الآن أثبت صحة قول غاليلي، لذا فإنه على العالم أن يتحلى بالمرونة الإبستومولوجية ولتقبل أي فرضية ثورية جديدة قد تكون انطلاقة جدية تساهم في تطوير البحث اللساني لإكتشاف نظريات أخرى أكثر تطورا.

4) الكلية

يجدر بنا التنويه إلى أن هذه الخاصية مرتبطة بكل الخصائص التي سبقتها حيث أن تشومسكي سعى من خلال كل من العقلانية والإستنباط واتباع الأسلوب الغاليلي إلى تحقيق خاصية الكلية وهي إيجاد نحو عام كلي لا يتعلق بلغة معينة بل ينطبق على جميع اللغات انطلاقا من فكرته الأولى كون اللغة موروث فطري عقلي يتساوى فيه جميع الناس.

لقد عرف اللسانيات البنيوية أنها تنحصر على دراسة الخصائص الصوتية والصرفية التركيبية الخاصة بكل سياق على حدى، دون محاولة تعميم القواعد اللسانية وجعلها مبادئ عامة وهذا ما جعلها توصف بأنها لسانيات الألسن، فقد كان هدفها دراسة كل لغة على حدى

[1] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص 48.

وإعطاء لكل قوانينها وقواعدها [1]، إلا أن النحو التوليدي جاء ساعيا لتحقيق الكلية ومخاطبة لغة عامة بشرية، فيرى تشومسكي أنه "**يمكن تعريف النحو الكلي من خلال دراسة الشروط التي تتوفر في قواعد النحو من كل اللغات البشرية**"[2].

هدف تشومسكي لوضع قانون موحد لجميع اللغات والجمع بين تشابهات اللغة النحوية رغم اختلافها الظاهري حيث يقول: "**يبدو على السطح كما لو أن اللغات تختلف اختلافا جذريا عن بعضها لكن هذا يعود إلى عدم معرفتك بالمبادئ عندما تكتشف المبادئ سترى أنها متماثلة إلى حد بعيد في الحقيقة وأن الإختلافات بينهما سطحية إلى حد بعيد**"[3]، لهذا رفض تشومسكي الإهتمام بالشكل الخارجي أو السلوك اللغوي المتمثل في الأداء بل حاول تجاوز الإختلافات الظاهرية والتركيز على الإتفاقات الجوهرية، كذلك تجاوزه للنظرة الصورية إلى الإهتمام بالجانب التفسيري والعميق للغة.

إضافة لهذه الخصائص المتمثلة في كل من العقلانية والإستنباط والأسلوب الغاليلي والكلية، فإنه هناك خصائص أخرى تتميز بها النظرية التوليدية التحويلية كالفرضيات بأنواعها والصياغة الصورية وغيرها، إلا أنه لم يتم إدراجها نظرا إلى أننا أشرنا لها في الخصائص السابقة وهذا للإرتباط الخصائص ببعضها البعض فإننا تجنبنا تكرارها.

لذا فإنه يمكننا القول أن خصائص النظرية التوليدية تظهر مدى سعي تشومسكي إلى إقامة نظرية لسانية عامة وشاملة ومحاولته التقدم باللسانيات وجعلها في مرتبة واحدة مع العلـوم

---

[1] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص225.

[2]Noom Chomsky, language and mind, Cambridge university press, new York,2006, p112.
"Universal grammar might be defined as the study of the conditions that must be met by the grammars of all human languages".

[3] – نعوم تشومسكي، بنيان اللغة، ص41.

من خلال نظرته العقلية الفطرية للغة .

ثانيا/أهمية النظرية التوليدية التحويلية

للنظرية التوليدية أهمية بالغة في الدراسات اللسانية نظرا للتحول والتقدم الذي مس الدرس اللساني عقب أفكار تشومسكي الثورية ونستطيع تبيان هذه الأهمية في النقاط التالية:

1- "تنظر القواعد التحويلية على أنها مشتقة من تركيب آخر عبر عملية تحويل خاصة وتعد هذه النظرة أقرب إلى طبيعة اللغة وحقيقتها"[1] ، ذلك أن النظرة التقليدية رأت أن اللغة عبارة عن كلمات متجاورة ومترابطة فيما بينها ذات طبيعة إجتماعية، إلا أن القواعد التحويلية بينت الطبيعة الحقيقية العقلية والفطرية للغة، فكان هذا التغير أقرب إلى الحقيقة الفعلية.

2- "بإمكان هذه القواعد التحويلية أن تقدم تفسيرا مقنعا لقدرة المرء على أن ينتج عددا لا نهائيا من الجمل الجديدة ويفهمها"[2]، فلقد أعادت النظرية التوليدية للإنسان فاعليته ودوره بعد أن غيب، فالفكرة السائدة كانت أن اللغة مكتسبة من العالم الخارجي وما الإنسان إلا مخزن لهذه اللغة ويعيد استخدامها إلا أن النظرية التوليدية بينت قدرة العقل على توليد العديد من الجمل اللامحدودة من مفردات محدودة.

3- من خلال سعي النظرية التوليدية إلى إنشاء لغة شاملة وعامة فإنها سعت إلى تحقيق ما يطلق عليه بالمتكلم والمستمع المثالي وهذا من خلال لغته الشاملة، وإن النظرية بإمكانها إزالة المعيقات أمام المعرفة وكذا أمام علاقات مختلف الأجناس والأعراق ببعضهم البعض فالنظرية التوليدية سعت لجعل العالم ذا لغة واحدة.

---

[1] – حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 97.

[2] – المرجع نفسه، ص 97.

4- "تتميز القواعد التحويلية باعتمادها على أسس لغوية خالصة وذلك باعتمادها على المقدرة اللغوية الكامنة في أذهان المتكلمين"[1]، وذلك من خلال كل من الكفاءة اللغوية و الأداء الكلامي اللذان عبرا بشكل صريح على أن اللغة عبارة عن كفاءة عقلية خالصة كامنة في العقل من ثم تترجم من خلال الأداء اللغوي إلى مروفيمات صوتية تعبر عن الكفاءة الباطنية وذلك من خلال عدة تحويلات على مستوى العقل وهذا ما يبين قدرة الإنسان الإبداعية على تحويل المفردات الصماء الكامنة في العقل إلى عدد لا محدود من الجمل، فالنظرية بينت الإبداع اللغوي في العقل الإنساني والطبيعة الفطرية للغة.

5- تميز النظرية التوليدية التحويلية بين الثابت والمتغير فنجدها تقول أن الكفاءة ثابتة عند جميع الناس بينما التغير يمس الأداء فهو يختلف من شخص لآخر وهذا على عكس النظرية اللسانيات البنيوية التي تقول بالتغير ولا تفرق بين الثابت والمتغير.

6- تتميز القوانين التحويلية بالبساطة والصحة اللغوية، إن للقواعد التحويلية التوليدية ترتيب معين ومبسط يكفي أن يلتزم به المرء في التطبيق حيث ينتج جمل نحوية صحيحة ومن خلال الإحاطة به فإنه يميز تلك الجمل الخاطئة الغير نحوية، إن القواعد التحويلية تؤدي إلى إنشاء جمل صحيحة نحويا وتميز تلك الغير صحيحة[2].

7- "تتميز القواعد التحويلية بقدرتها على تحليل جميع أنماط الجمل البسيطة والمعقدة والتي تعجز القواعد الأخرى على تحويلها"[3]، وهذا من خلال المنهج الإستنباطي الذي تتبعه القواعد التحويلية وكذا الأسلوب التفسيري الذي من شأنه تحليل الجمل من المعقد إلى البسيط وكذا تركيبها.

---

[1] – حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، ص 97.

[2] – محمد علي الخولي، القواعد التحويلية للغة العربية، ص 25.

[3] – حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، ص 97-98.

8- "تتميز القواعد التحويلية بقدرتها التفريق ببين الجمل المتشابهة في تركيبها السطحي و المختلفة في تركيبها العميق"[1]، كما سبق التفصيل فإن الجملة تتكون من بنية عميقة وبنية سطحية ومن شأن القواعد التحويلية التفريق بينهما فقد تتشابه الجملة في البنية السطحية وتختلف في المعنى والعكس وارد.

9- "تقدم القواعد التحويلية تفسيرا واضحا للجمل التي يصيبها الحذف بحيث يتمكن متكلم اللغة من فهم تلك الجمل واستعابها"[2]، من القواعد التحويلية نجد الحذف الذي يؤدي إلى الإختصارات اللغوية فمن شأن النحو التوليدي صياغة هذه الإختصارات وكذا تفسيرها وتوضيحها.

بعد الخوض في النظرية التوليدية التحويلية فإننا نستنتج أنها نظرية عقلية منطقية بإمتياز سعت لتحرير الدرس اللغوي من التأثيرات التجريبية ومحاولة السير به إلى العلمية إضافة إلى أنها أعادت فاعليه ودور الإنسان من خلال القول بالعقلية والفطرية والحدس والإبداع، فجعل اللغة خاصية إنسانية فردية، هذه النظرة الجديدة ستشكل لا محال نقله في مجال اللسانيات كما أنها ستؤثر في العديد من المجالات الأخرى نظرا لإرتباط الموضوع اللساني بالعديد من العلوم.

[1] – حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، ص 98.

[2] – المرجع نفسه، ص 98.

الفصل الثالث

تجليات النظرية التوليدية التحويلية ومظاهر ثنائية اللغة والعقل

تبوأ الفكر التشومسكي مكانة هامة في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك عائد لمجمل آرائه اللغوية والفلسفية والسياسية التي تميزت بالثورية والتجديد والعقلانية، حيث نجد له مواقف في اللغة والفلسفة وكذلك السياسة، إلا أنه لم يكتفي بدراسة كل منها على حدى بل زواج بين مختلف هاته المجالات بين اللغة والفلسفة وكذا الفلسفة والسياسة، إضافة إلى معالجته لمختلف العلوم إنطلاقا من آرائه اللغوية والفلسفية، من خلال قوله بثنائية اللغة والعقل التي بنى عليها نظريته اللغوية وكذلك دافع عنها من خلال إقحامها في شتى العلوم من أجل إثبات صحتها وصدقها والوصول إلى دليل علمي يدعم قوله ونظريته، **فماهي تجليات نظرية تشومسكي؟ ومامدى تأثيرها على العلوم المعاصرة لها؟** هذا ما سنفصل فيه في هذا الفصل من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول/ البحث اللغوي الإنعطاف والتطور

المبحث الثاني / علاقة النظرية التوليدية التحويلية بالعلوم الإنسانية

المبحث الثالث/ نقد وتقييم

المبحث الأول/ البحث اللغوي الإنعطاف والتطور

لقد شكلت النظرية التوليدية التحويلية منعطف حاسم في مجال اللسانيات وثورة بالغة الأهمية، حيث غيرت منحى سير علم اللسانيات وفكر اللسانيين الذين تأثروا بأفكار تشومسكي، هذا التحول الذي مس اللسانيات عقب نظرية تشومسكي هو ما سنحاول توضيحه في المبحث التالي.

أولا/المدرسة التوليدية التحويلية (التشومسكية)

أثر تشومسكي في الفكر اللغوي خاصة في اللسانيات، فنجد العديد من اللغويين درسو النظرية التوليدية وأخذوا يطورون فيها ويتتبعون مراحلها، فكما بينا سابقا أن تشومسكي ذاته كان دائم التجديد والتطوير في نظريته وكذلك أتباعه الذين كانوا دائما يحاولون تنقيح النظرية وتعديلها كل حسب رأيه الخاص وتوجهه، وهذا لم يشكل إزعاجا بالنسبة لتشومسكي الذي كان يتتبع النظريات المتولدة عن نظريته الأم، فمنها مايتقبله وآخر يرفضه، إلا أنه ثمن مساعيهم في السير بالعلم اللغوي نحو التطور والتقدم.

ويطلق مسمى المدرسة التشومسكية أو المدرسة التوليدية التحويلية على أتباع هذه النظرية فكان ظهور هذه المدرسة ناجم عن الذيوع والإنتشار الواسع لأفكار تشومسكي، حيث قدم التوليديون عدة نظريات وقواعد جديدة كقواعد "الوظيفية المعجمية" وكذلك "قواعد بنية التركيب"[1]، فاعتمدت الأولى على الإستعمـــال المعجمـــي لتحليـــل الجمل وهذا ما كـــان يرفضه

[1]- سارة بوحلاسة، أهمية قواعد الحالات لشارل فيلمور في ترجمة النصوص الأدبية، ترجمة منير البعلبكي ودار أسامة، القصة مدينتين تشارلز ديكز نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة، إشراف صالح خديش، أحمد مؤمن، قسم الترجمة كلية الأداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 2012/2011، ص 94.

تشومسكي الذي انتقد البنيوية في اعتمادها على المعاجم وصرح أن المـــعجم عـــاجز عـن شرح مكنون الكلمات أما الثانية "قواعد بنية التركيب" فهي تتوافق وتشومسكي في الأسلوب المنطقي، إلا أنها جاءت لربط المعنى بالمبنى على عكس تشومسكي الذي فرق بينهما، إضافة إلى هذا كله فإن النظرية التوليدية كانت سببا في ظهور العديد من الفروع الجديدة منها التحويلية الدلالية العميقة لكل من "لاكوف" و"مكاولي" و"روس" وغيرهم كذلك القواعد الطبقية للغوي "لامب" وهي قواعد منافسة للقواعد التحويلية[1]، ناهيك عن العديد من المتأثرين والمأثرين في نظرية تشومسكي إلا أننا نخص بالذكر ثلاثة هم من أهم المأثرين بالنظرية وهم كل من فلمور وجاكندوف وكوك.

1) نموذج فلمور:

ويسمى كذلك بنحو الحالة أو نموذج القواعد الدلالية حيث أتى بهذا النموذج "شارل فلمور" في بحث له نشر عام 1988م بعنوان الحالة للحالة the cas for cas ويقصد بها المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار الأحكام حول ما يجري حوله من أحداث واستيعاب المكان والزمان وغيرها، فنحو الحالة يعتبر من وظائف البنية العميقة فهو عماد صياغة الجملة، حيث يتحكم في تعيين الفاعل من المفعول والتصريف إلى الماضي والمستقبل وغيرها[2]، وقد أضاف فلمور مكونا جديدا للتركيب العميق كان قد سبق وانتقد تشومسكي في إغفاله له، ألا وهو المكون الدلالي الذي اعتبره فلمور عنصرا أساسيا في تكوبن الجملة بينما أهمله تشومسكي في كتابه البنى النحوية "**وهي نظرية دلالية تطورت في السبعينات تركز على العلاقة الدلالية في**

[1] – سارة بوحلاسة، أهمية قواعد الحالات لشارل فيلمور في ترجمة النصوص الأدبية، ص 94.

[2] – الصديق آدم بركات آدم، النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها على النحو العربي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية، عبد المنعم الحسن الكاروري، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، الخرطوم، السودان، 2010، ص 91.

جملة ما، وتعد نظرية قواعد الحالات من بين أشهر النظريات الدلالية التـــي تمخضت عن نظرية القواعد التوليدية التحويلية لتشومسكي"[1]، فنجد أن فلمور قد فتح المجال أمام دراسة الدلالة والعلاقة التي تربط كل من البنية السطحية والبنية العميقة والعمليات التحويلية التي تتم لتكوين جمل نحوية، بالرغم من هذا الإختلاف بين نظرية نحو الحالات ونظرية تشومسكي لكن هذا لا ينفي أنها تولدت منها واعتمدت على أغلب أسسها، فالبنية السطحية والعميقة التي يحاول فلمور التأليف بينهما هما مصطلحان تشومسكيان لذا فإن فلمور قد وضع النظرية التوليدية كأساس وانطلق منه.

إن نظرية قواعد الحالات إهتمت بالنحو والقواعد والتصريف وبيان الجملة وغيرها ذلك تعزيزا لمسعى تشومسكي الأول وهو جعل اللغة ذات بنيان سهل وتعميمها على العالم وجعلها شمولية، حيث أن نموذج فلمور يساعد المتعلمين على تعلم اللغات الأجنبية بسهولة من خلال توضيح خصائص الجملة ومكوناتها والعلاقات التي تربط المفردات بعضها بعضا وجمل التحويلات والقواعد التي تتحكم في الأفعال حيث تعطي للمتعلم العديد من الخيارات التي تسمح له بالإبداع[2] في اللغة، التي هي في الأصل ليست لغته وها هي فكرة أخرى لتشومسكي تظهر هنا وهي الإبداعية مما يؤكد لنا الخاصية العقلية والإنسانية للغة وعلى أنها نتاج إبداع عقلي بإستطاعة الإنسان التحكم بها والتلاعب والإبداع فيها، سواء في لغته أو غير ذلك لأن الأساس واحد والنحو واحد، فإن إسقاطه على أي لغة من اللغات لا يشكل إشكالا.

2) المنهج النحوي الدلالي "جاكندوف":

[1] – سارة بوحلاسة، أهمية قواعد الحالات لشارل فيلمور، ص 114.

[2] – المرجع نفسه، ص 126.

وهو مجموع ماجاء به جاكندوف* سنة 1976م حيث يركز المنهج على الدلالة التي تعطيها التراكيب ويعتبر أن الدلالة هي أساس الجملة النحوية لا تراكيبها[1]، فقد اهتم جاكندوف بالمعنى على حساب التركيب إلا أن هذا كان نابعا من دراسته المتفحصة وتأثره بالمنهج التوليدي غير أنه رأى أنه لابد أن يضع بصمته في هذا المنهج فجاء بما يسمى بالنحو الدلالي الذي يهتم بالمعنى وكيف أن القواعد النحوية تتحكم فيها معنى الجمل لا تراكيبها وعلاقاتها المنطقية فيما بعض .

فجاكندوف بدلا من السؤال عن القواعد النحوية والتركيبية التي تشكل لنا العلاقة بين البنية السطحية والعميقة في تكوين الجمل الصوتية، فإن جاكندوف يطرح أسئلة مخالفة حول طبيعة المعنى وكيفية تجسده في العقل الإنساني فيقول: "**ماذا يوجد في أذهان الناس الوظيفية حين يفهمون المعنى؟ وكيف يشكل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد المعاني والأفكار التي بحملونها؟ هل هناك دلالة لغوية خاصة؟**"[2]، وكثير من الأسئلة التي يحاول الإجابة عليها والتي توضح تركيزه على الجانب الدلالي ومحاولة حل كنهه وحقيقته النحوية، ومن خلال مجموع دراساته فإن جاكندوف توصل إلى مجموعة من النقاط أسس بها منهجه النحوي الدلالي حيث أقر أن اللغة تتكون من أربعة تراكيب، التركيب الوظيفي والتركيب السياقي الموضح والتركيب التطابقي وتركيب العناية والإهتمام والتقديم كما أنه وضع ثلاث ضوابط للنحو هي:

* – راي جاكندوف "Ray jackendoff"، (1945– ....)، عالم لغة أمريكي تلميذ تشومسكي درس علم النفس والفلسفة والموسيقى، رائد علم الدلالة التصوري مدير معهد العلوم العرفانية، ومحاضر في جامعة توفنستن في الولايات المتحد الأمريكية، (ينظر: رآىجاكندوف علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بن نور، تر: مختار كريم، دار سيناترا، تونس، ط10، ص 05.

[1] – الصديق آدم بركات، النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقها على النحو العربي، ص 95.

[2] – جاكندوف، نعوم تشومسكي، فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، تر: محمد عريم ومحمد الرحالي، وعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص 24.

- الضوابط المختارة.
- الضواط الثابتة.
- الضوابط المتدرجة.[1]

وبرغم الإختلاف في المنهج الدلالي لجاكندوف إلا أنه يبقى وليد التوليدية، كما أننا نلاحظ الإرتباط الواضح بالقضايا التي عالجها تشومسكي من خلال الأسئلة التي طرحها أعلاه حيث أنه اهتم بالعقل الإنساني والكيفية التي تتموضع بها المعاني والدلالات به، كما أنه طرح إشكال اللغة المكتسبة والأفكار الفطرية وهو ذات الموضوع الذي عالجته النظرية التوليدية وكيف تتفاعل الفطرة اللغوية الكامنة بالعقل مع اللغة الإجتماعية الخارجية، وتساؤله عن الدلالة اللغوية الخاصة بطرح موضوع الإبداع الإنساني، فهل يمكن للإنسان إبداع لغة خاصة به؟ كل هاته الأسئلة وتلك تحاكي بشكل واضح كل الإشكالات التي عالجتها النظرية التوليدية وهذا ما يؤكد القول أن المنهج النحوي الدلالي لجاكندوف هو عبارة عن ثمرة النظرية التوليدية ويرفع هو الآخر نداء العقل والفطرة وإعادة الإعتبار للذات الإنسانية.

3) المنهج الدلالي التصنيفي "ولتر كوك":

أعطى كوك سنة 1979م تصورا جديدا للتحليل اللغوي ثمنه تشومسكي وأخذه بعين الإعتبار، حيث يهدف هذا المنهج إلى وصف ما يتضمنه التركيب من دلالة حيث اعتبر هذا المنهج على أنه نضام الحركـات أو السكـون أو الشعور بإعتبــار الحالة التي تنشأ من خلالـها الجملة[2]، فقد نوه كوك إلى أن الحركات والفينومات الصوتية تغير من معنى الجملة، التـــي يجب أخذها بعين الإعتبار في القواعد التحويلية كما أنه يعتبر الفعل محول العمليات الدلالية.

[1] – الصديق آدم بركات، النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقها على النحو العربي، ص 95.

[2] – المرجع نفسه، ص 96.

وهذا المنهج هو عبارة عن نظام من الأدوار الوظيفية الدلالية التي تمنح من خلال "**اعتبار الفعل محورا للعمليات الدلالية فالمميزات الدلالية هي كونية إجرائية أو حركية، وكل فعل يمكن أن يحمل ميزة من هذه الميزات الثلاث فيعطي دلالة للجملة ولا يمكن للفعل أن يكون بدونها**"[1].

ما نريد توضيحه ليس المنهج اللساني الذي جاء به كوك بل التأثر الذي بدى واضحا بالفكر التشومسكي وللنظرية التوليدية، سواء هو أو كل من فلمور وجاكندوف، حيث نستطيع القول أنهم يعبرون بشكل واضح عن مدى ذيوع أفكار تشومسكي اللغوية والفلسفية والتأثير الذي مارسته على كل الدراسات التي عاصرتها وتلتها، حيث نلاحظ تغير مسار دراسة الضاهرة اللسانية من السلوك والوصف إلى التفسير والتجريد سواء في فكر اللائي سبق ذكرهم أو عند مفكرين آخرين، ناهيك عن الإهتمام بعلاقة اللغة بالعقل والإبداع الإنساني ومقبولية فكرة تشومسكي في إيجاد لغة شاملة حيث نلمس سعي العديد من اللسانيين لمحاولة تحقيق هذه الغاية إضافة إلى محاولة إلحاق الفكر اللغوي بركب باقي العلوم .

ثانيا/ النظرة البيولوجية للعقل اللغوي عند تشومسكي

لقد ركزت المدرسة السلوكية والبنيوية ومعظم الدراسات اللسانية السابقة حول تشومسكي على دراسة الظاهرة اللغوية في مقابل أنها أهملت العقل البشري هذه النظرة التي لم تتماشى والتطور الحاصل أنذاك من تقدم في العلم والتكنولوجيا والحاسوب حيث تطورت العديد من

[1] – مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 1986، ص 76.

العلوم كعلم الأعصاب وظهور الذكاء الإصطناعي هذا ما ميز تلك الفترة وجعلها تعرف بعصر الدماغ البشري[1].

ولعل أول إشارة للجانب العصبي كانت في الندوة التي نظمها معهد مسانشوستس في 11 سبتمبر 1956، الذي ضم مجموعة من اللسانيين وعلماء النفس والباحثين في مبادئ المعلومات، من أجل دراسة العقل البشري فتمخض ذلك بمجموعة من الأراء في مجال اللسانيات والتي منها أن اللغة تقوم على المستويات التالية:

1- مستوى تمثيلي مجرد.

2- مستوى معرفي.

3- مستوى عصبي.[2]

فكان إدراج الجانب العصبي لأول مرة في الدراسات اللسانية، هذا ما جعل من اللسانيات تصطبغ بالصبغة العلمية وذلك من خلال دراستها من طرف بعض العلوم كعلم النفس وعلم الأعصاب كذلك ومن خلال نظـرة تشومسكي لإرتبــاط اللغة بالعقل، فإن دراسة العقـل تثمر لنـا نظريات في اللغة وفي دراسة كيفية توليد الجمل وتحويلها من خلال دراسة مناطق اللغة في العقل والسيالات العصبية وغيرها، هذا كله نتيجة التوجه نحو الإهتمام بالعقل البشري الذي أهمل فيما سبق.

ونجد أن تشومسكي قد أعاد طرح الإشكالية القديمة المتمثلة في ثنائية العقل والجسد بمنظور لغوي فلسفي فنجم عن ذلك فلسفة في اللـغة، من خــلال دراســة مشكلـــة العقل وعلاقتة ومدى

[1] – ولد بسطامي أنفال لخضر مذبوح، حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 23، 2016، جامعة قسنطينة2، الجزائر، السنة الثامنة، ص 03.

[2] – المرجع نفسه، ص03.

اتصاله بالجسد فيقول: "**الظواهر العقلية هي طبيعية تماما كونها تنجم عن الأنشطة العصبية للدماغ وإن قدرات العقل البشري في حقيقته هي قدرات الدماغ**"[1]، فقد زاوج تشومسكي بين العقل والدماغ في قوله هذا، فهو يرى أن مجمل العمليات العقلية والمعرفية التي يقوم بها الإنسان هي قدرات ذهنية ناتجة عن الذهن وتركيبه ومن تلك المناطق المسؤولة عن كل معرفة معينة، فالدماغ حسب تشومسكي يحتوي على مناطق مسؤولة عن العملية الكلامية واللغة تنمو وتتطور بنمو هذا العضو البيولوجي في الإنسان، حيث يفترض أن العقل البشري جزء من الطبيعة أي أنه عضو بيولوجي مثل الأعضاء الأخرى وربما يكون أكثر تركيبا وتعقيدا من الأعضاء الأخرى[2]، فالعقل حسب تشومسكي عضو بيولوجي واللغة تأخذ بذلك الصفة ذاتها، وهي مثلها مثل باقي الأعضاء في جسم الإنسان لا بل أكثر تعقيدا.

ويرى تشومسكي أن عملية تكوين اللغة تتم من خلال العقل الذي هو نظام معقد وهو ذاته الدماغ الإنساني تقبع فيه الملكة اللغوية هذه الملكة التي سيزودها العالم الخارجي بالمادة اللغوية الأولية فتتحدد اللغة التي سيمتلكها الإنسان سواء إنجليزية أو إسبانية أو غيرها ومن ثم تتم عملية اكتساب اللغة عن طريق المراحل التالية:

1- العضو اللغوي 2- الملكة اللغوية 3 – المادة اللغوية 4 – اللغة ،[3]

بالتالي فإن أساس اللغة هو بيولوجي طبيعي في الإنسان ومن ثم يأتي الإكتساب الخارجي، وهاته الكيفية في اكتساب اللغة يسقطها تشومسكي أيضا حول إبداع الإنسان للعلوم حيث يقول: "**من وجهة نظري يعتمد الإبداع العلمي على حقيقتين: من جهة ما الملكة الجوهريـــة لـــلعقل**

[1] – noamchomsky, on nature and lamguage, cambrideunirersity press, newyork, 2002, p 64.

[2] – نعوم تشومسكي، مشال فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، ص 148- 149.

[3] – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، ص 61.

ومن جهة أخرى المزج بين الظروف الإجتماعية والفكرة، ولا يوجد سؤال آخر تختاره بين الإثنين من أجل فهم اكتشاف علمي ما، الضروري هو فهم التشابك بين هذه العوامل ولكن بشكل شخصي أن نهتم أكثر بالأول"[1] ويقصد بالأول الملكة اللغوية العقلية فهو يؤكد أن أساس الإبداع العلمي هو الذهن أولا ومن ثم تكون هناك تأثيرات خارجية وهو يوافق بهذا أراء العقلانيين وتصريحاته هي بمثابة إحياء للعقلانية.

ويؤكد تشومسكي أن جل المعارف هي في الحقيقة مرتبطة بالعقل البيولوجي سواء اللغة أو مختلف العلوم، ويدل ذلك أنها تنتقل جينيا ووراثيا حيث أن الطفل يحمل جينات والديه ذاتها وهذا ما يفسر لنا أنه يتكلم لغتهم أو أنه حتى يحمل العلوم نفسها التي يفلحون بها ففي أغلب الأحيان إذا ما كان أحد الوالدين عالما في مجال فإن الإبن يأخذ ذات الصبغات الوراثية والتي تعزز معرفته بذلك العلم فيكون مهيئا لإستقبالها عن باقي العلوم، ونشير بالذكر أن تشومسكي قد يتحدث انطلاقا من تجربته الشخصية إذ كان والده عالما في اللغة وهاهو كذلك يحذو حذوه.

نلاحظ كذلك أن علم النفس التطوري قد أخذ بهذه الفكرة "جينات الملكة اللغوية" وطور فيها ودرس من خلالها عمليات تحكم اللغة بالنسبة للطفل، مما أدى إلى التوصل إلى مايسمى بمناطق اللغة في الذهن البشري وهذا ماتجلى في كل من منطقتي "بروكا"و"فرنيك" المسؤولتين عن فهم وإنتاج اللغة[2]، ويؤكد تشومسكي إرتباط اللغة بالدماغ من خلال قوله: "**ويبدو الآن وبشكل معقول أن هناك عنصر خاص من الدماغ البشري (الذي يطلق عليه ملكة اللغة) مخصص تحديدا للغة... مثل جميع مكونات الجسم الأخرى كالكلى والدورة الدموية وهلم**

[1]– نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، ص162.

[2] – ولد بسطامي أنفال، لخضر مذبوح، حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، ص05.

جرا"[1]، إضافة إلى أنه تم التوصل من خلال مجموعة من الدراسات التي أجريت على العقل أنه هناك سيالات عصبية مسؤولة عن نقل الدال وتحويله لمدلول من طرف مناطق اللغة في العقل، والعديد من الأبحاث العلمية المعاصرة في مجال الطب الأرطفوني تدرس المناطق العقلية الذهنية المسؤولة عن اللغة فالكثير من الأطفال المتأخرين أو العاجزين عن الكلام تمت معالجتهم إما من خلال الجراحة أو من خلال تنشيط المناطق اللغوية الكامنة في العقل، هذا إن دل على شيء إنما يدل على عضوية الملكة اللغوية فقد أثبتت الدراسات المعاصرة صحة ما ذهب إليه تشومسكي وقد نجم عن محاولة تشومسكي التوحيد بين العقل واللغة وقوله ببيولوجية العقل اللغوي العديد من الدراسات والعلوم المعاصرة التي وجدت الكثير من الحلول لمشكلات سابقة كان العلم عاجزا في حلها نظرا لتغييب الجانب العقلي والبيولوجي والتركيز على الجانب الظاهري السلوكي، بهذا يعتبر تشومسكي أنه من قدم الخطوة الأولى وكان الممهد لكثير من الدراسات والعلوم التي تطورت جراء آراءه وأفكاره حول اللغة والعقل.

ثالثا/ اللغة بوصفها نظام حاسوبي

في الحين الذي ذاع فيه النظام الحاسوبي وظهرت الحاسبات الآلية التي كانت في القرن العشرين _آلات ضخمة تقوم بتخزين المعلومات والبرامج ومعالجتها_ فإننا نجد تشومسكي قد

[1]– Noom Chomsky, power and prospects, reflection on human and the social order, pluto press, the first/published, in the united kingdom, london, 1996, p30.

« Lt seems now reasonably well established that there is a special component of the human brain (call it the language faculty) that is specifically dedicated to language that subsystem of the brain (or the mind , from the abstract perspective) has an initial state which is genetically determined, like all other components of the body the kidney, the circulatory system and so on ».

تأثر بهذا التطور خاصة وأن النظام الحاسوبي نابع من العمليات الرياضية والمنطقية التي سبق وأشرنا أن تشومسكي قد تأثر بهما هو الآخر.

لذا فإنه يشبه اللغة بأنها شبكة موصولة بلوح من المفاتيح و من أجل اكتساب اللغة يجب ربط لوح المفاتيح بالإعداد الفطري للطفل بمعنى أن الملكة الفطرية اللغوية للطفل هي التي ستحدد نظامه الحاسوبي اللغوي[1]

فبعد أن أستبعد العقل البشري في النصف الأول من القرن العشرين وأخذ الإهتمام يتزايد بالجانب التجريبي وبالعلوم التكنولوجية والنووية، خاصة في ظل الحربيين العالميين الأولى والثانية والسباق نحو التسلح التي أدت إلى طغيان نوع من البرغماتية وحب السيطرة وبالتالي التوجه نحو الآلة، كان النظام الحاسوبي مقتصر في مجال الآلات وفقط.

ويعتبر "ألآن تورينغ" هو أول من أوجد هذا النموذج الحاسوبي عام 1936م، ومن ثم أخذ يتدراسه في النصف الثاني من القرن العشرين مختلف العلماء سواء علماء النفس أو اللسانيين أم علماء الأعصاب وغيرهم من أجل اكتشاف الآليات التي يعمل وفقها الدماغ البشري ولحل مشاكله، وكان تشومسكي من أول الدارسين لنظرية الحاسوبية ومن أول المتأثرين بها فقد حاول تسليط الضوء على النظام الحاسوبي العقلي الذهني لا الآلي، فكما سبق الذكر فإن تشومسكي كان أول من شد انتباه العلماء والفلاسفة واللسانيين إلى ضرورة العودة لدراسة العمليات العقلية ودراسة الفطرة الإنسانية وآليات التفكير البشري.

لقد سعى آلان تورينغ إلى توحيد الحواسيب وفق نظام برمجي إلكتروني واحد، وهذا ما حدث بالفعل حيث تمت برمجة الحواسيب بلغة عالمية واحدة تجعلها تعمل بنفس النظام وكأنها

[1] – ولد بسطامي أنفال، لخضر مذبوح، حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، ص 07.

حاسوب واحد ويمكن لهذه الحواسيب استخراج المعلومات من أي حاسوب في العالم[1]، هذه الفكرة "عالمية النظام الحاسوبي" تتوافق ونظرية تشومسكي في قوله بعالمية النظام اللغوي والمقاصد التي سعى إلى تحقيقها في مجال إيجاد لغة عالمية واحدة نابعة من الفطرة الإنسانية.

لقد وضف تشومسكي النظام الحاسوبي في نظريته اللغوية حيث أنه يعد أساسيا في تصميم النحو الذي تبناه تشومسكي، فالملاحظ على النظرية التوليدية التحويلية أنها تقوم على مجموعة من القواعد والإجراءات الدقيقة حيث نلمسه في قواعد كل من التوليد والتحويل التي سبق وبيناها في الفصل السابق من مبادئ في الإنشقاق والحذف والإضافة والإقتصاد والتي تقوم على نسق حاسوبي بحت،[2] سبق وبينا الأسلوب المنطقي والرياضي الذي تبناه تشومسكي في نظريته اللغوية إضافة إلى دعوته في إتباع أسلوب التجريد لذا فإن إخضاع اللغة للنظام الحاسوبي ليس بالغريب على الفكر التشومسكي الذي سعى إلى إيجاد لغة عالمية تماثل اللغة الحاسوبية الشاملة، فكما يماثل النظام الحاسوبي بعضه بعضا في كل الحواسيب فإن الملكة اللغوية متماثلة في جميع العقول و مثلما يعمل الحاسوب على التخزين وتشفير واسترجاع المعلومات في الوقت المناسب فإن الذهن أيضا يعمل بذات الوتيرة في فهم اللغة وتخزينها واسترجاعها.

لقد نجم عن حوسبة اللغة وإرجاعها إلى أساسها العقلي إضافة إلى المزاوجة بين العقل والذهن والقول بطبيعة البيولجية تحولا فارقا في الدراسات اللسانية ونقلة فكرية مهمة في مجال اللغة حيث أثرت هذه الأفكار في طريقة معالجة المشكلات اللسانية واللغوية وكذا في بعض العلوم الأخرى، حيث تغيرت النظرة للغة من كونها وصفا إلى أنها تفسيرا ومن أنها مكتسبة إلى

[1] – ولد بسطامي أنفال، لخضر مذبوح، حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، ص8.

[2] – مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 370.

كونها فطرية طبيعية كامنة في العضو الذهني الذي يماثل في وجوده سائر أعضاء الجسم الإنساني، بل هو أكثر تعقيدا ليصبح مجال اللغة من أنه مجرد علاقة بين دال ومدلول إلى كونه مجموعة من القواعد والشيفرات الحاسوبية التي يمتلكها كل إنسان في ملكته اللغوية الكامنة في الذهن، إلى هنا فإن تشومسكي تأثر بالنظرية الحاسوبية ووضفها واستطاع من خلالها تطوير النظرية اللسانية ومحاولة جعل اللسانيات علم دقيق يواكب سائر العلوم في تقدمها وتطورها ويثبت أن اللغة فطرية بفطرية العقل وأنهما على ترابط تام ببعض.

من خلال ما تم تناوله فإن لتشومسكي نظرية بالغة في الأهمية هذا نظرا لكونها أصبحت مدرسة يتبناها أغلب اللسانيين حيث أقاموا على إثرها نظريات مشابهة وأضافوا وعدلوا وطورو إلا أنهم لم يستطيعوا التخلص من ثوب التوليدية التشومسكية ونجاح النظرية يعني بالضرورة المصادقة على ما تحمله من أفكار، هذا ما يحيلنا إلى القول أن اللسانيات ما بعد تشومسكي أصبحت عقلية بإمتياز توحد بين اللغة والعقل وتقول بفطريته وبمختلف ما جاء به تشومسكي من أفكـــار لأن التسليم بالنظرية هو بالضرورة التسليم بأفكارها مما يعنـــي نجاح تشومسكي في إثبات عقلانية اللغة وإعادة أمجاد العقلانية كما أن القول بعضوية العقل وإدخال النسق الحاسوبي في القواعد اللغوية وتمثيل العقل واللغة بالرقمنة زاد النظرية صدقا وإثباتا إضافة إلى تجلي أفكار تشومسكي في مختلف العلوم البيولوجية منها والرقمية، هذا إن دل على شيء إنما يدل على ثقة تشومسكي في الأفكار التي يقول بها حيث أن إقحامها في شتى المجالات زادها صدقا وإثباتا.

المبحث الثاني/ علاقة النظرية التوليدية بالعلوم الإنسانية

إن مجمل الآراء التي جاءت بها النظرية التوليدية أثرت بالدرجة الأولى على الفكر اللغوي إلا أن تأثيرها قد امتد إلى علوم أخرى، علوم هي أقرب إليها تشترك وإياها في كونها متعلقة بالذات الإنسانية، وفي هذا المبحث سنوضح العلاقة بين نظرية تشومسكي وبعض العلوم الإنسانية.

أولا/ إسهامات تشومسكي في علم النفس

لعلم النفس علاقة وثيقة بعلم اللغة حيث أن علم النفس يعنى بدراسة السلوك الإنساني كما أنه "**علم يدرس الظواهر السيكولوجية أو وقائع الأنا والقوانين التي تحكمها ويخضع للملاحظة الداخلية والخارجية**"[1]، وتعد اللغة من بين أحوال الإنسان الداخلية والخارجية، داخلية من حيث التفكير فنحن لا نفكر خارج لغتنا، وخارجية من خلال الكلام المنطوق الذي يعبر به الإنسان عن أحواله المختلفة، ويرى تشومسكي أنه ينبغي أن لا نتكلم عن العلاقة بين الدراسات النفسية واللغوية لأن الدراسات اللغوية هي جزء من الدراسات النفسية[2]، وتعود نشأة العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس إلى اللغوي الأمريكي "ليونارد بلومفيلد" من الجانب اللغوي الذي اعتمد على معطيات علم النفس السلوكي لدراسة اللغة حيث اعتبر أن علم النفس السلوكي هو الوحيد القادر على دراسة اللغة، أما في الجانب الآخر من علم النفس، فإننا نجد "سنيكر" مؤسس علم النفس السلوكي الذي صاغ النظرية " لسلوك اللفظي" وقد اختار تعبير السلوك اللفظي بدلا عـن اللغة، ليبين أن اللغة ماهي إلا سلوك فردي متجاهلا القواعد التي تضبط النظام اللغوي،

[1] – ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، ص 126.

[2] – نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ص 139.

إضافة إلى أنه تحدث عن اكتساب اللغة وكيف أنها مهارة تكتسب عن طريق التعلم والتدريب،[1] ولعل هاته الأراء هي التي استفزت تشومسكي ودفعت به إلى الخوض في علم النفس حيث أن مجمل آراء هؤلاء تتعارض وآرائه، فأخذ على عاتقه مهمة الرد على كل هاته الأقوال التي رأى تشومسكي أنها تتنافى وحقيقة النظام اللغوي، فرفض الطبيعة الآلية للغة وعلى أنها مادة خارجية تكتسب بالتعلم والممارسة حيث يقول: "**إن الأطفال لا يتعلمون هذه الخاصية، فلما لا يمتلك العقل المبادئ الأساسية قبلا لا يمكن لأية كمية من الأدلة أن توفرها...هذه المعرفة لابد أن تأتينا من اليد الأصلية للطبيعية ... كجزء من موهبتنا الطبيعية البيولوجية**"[2]، إن اللغة هي ناتجة عن الفرد وليست من الآخر، وهي عبارة عن مجموع عمليات عقلية وليست عبارة عن فعل وردة فعل عفوي، فهي وحدة من وحدات العقل الإنساني التي تنبع من الملكة اللغوية الموجودة في العضو الذهني فاللغة هي لغة فردية تشمل كل عقل إنساني هذا ما أوضحه تشومسكي في كتابه المعرفة اللغوية.[3]

لقد كان موقف تشومسكي من علم النفس أنه يجب أن يدرس الفرد كذات منفردة عن الآخر "علم النفس الفردي" لأن السلوك اللغوي حسبه هو سلوك عقلاني ويجب العودة لدراسة هذا السلوك من جـــانب عقلي سلوكي فعلـي لا من جـانب سلوك واقعي خارجـي ظاهري فقط، حيث تطرق للعديد من المواضيع المتعلقة بعلم النفس كعملية التذكر وتعلم الطفل اللغة وحاول دراسة الأمراض النفسية وعلاقتها باللغة، هاته النقاط الأخيرة السابقة الذكر أصبحت موضوعات علم اللغة النفسي حيث كان لتشومسكي المساهمة في تأسيس هذا التخصص ويجدر بنا الإشـارة

[1] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 166-167.

[2] – نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ص 4.

[3] – نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص 53.

إلى أن علم النفس اللغوي قد ظهر في النصف الأول من القرن العشرين إلا أن علم اللغة النفسي لم يخرج إلى الوجود إلا بعد احتدام الأراء بين السلوكية والتوليدية وغيرها من اللسانيين العقليين، فظهر هذا العلم ليغير من الدراسة التقليدية النفسية للغة من دراسة وصفية ظاهرية إلى دراسة عقلية، حيث يعرف تشومسكي علم اللغة النفسي على أنه "**هو العلم الذي يفهم خصيصا بأنه التجديد الذي يتضافر مع الدراسة في نظام الإكتساب في مناهج الإكتساب وفي أنماط الإدراك والإنتاج كما يدرس كذلك الأسس الفيزيقية لجميع هذا كله**"[1]، ويقصد بنظام الإكتساب، القواعد التي تتبناها المناهج، فعلم اللغة النفسي بالنسبة لتشومسكي هو عبارة عن دراسة اللغة من خلال قواعد الملكة اللغوية، والعمليات المسؤولة على إنتاجها في مقابل دراسة كذلك المناطق الذهنية المسؤولة عن كل هذه العمليات.

وقد أثر المنهج التوليدي في علم النفس بأنه جعله يعتمد على العديد من القوانين التحويلية التي تحول الجملة النواة إلى تلك التي ينطقها المتكلم بالإعتماد على دراسة للعقل الإنساني لا السلوك الخارجي، كما أن المنهج التوليدي فسر قدرة الإنسان على إبداع جمل جديدة غير موجودة من قبل فعلم النفس السلوكي ليس له تفسير لهذه الظاهرة الإبداعية الغير مكتسبة، حيث أعاد المنهج التوليدي علم النفس إلى دراسة الإنسان والذات الإنسانية وإبعاده عن علم الإجتماع الذي امتزج به في الدراسات السلوكية سابقا لأن اهتمامه بالتحويلات التي يقوم بها المتكلم من الجملة النواة إلى غاية الأداء[2] جعلتهم يتوصلون إلى أن هناك مجموعة من القواعد داخل العقل، مما دفعهم إلى الإعتماد على دراسته أكثر في بحوثهم النفسية، حيـــث لم يكن علماء النفس يتحدثون عن التمثيل العقلي بل عن الذاكرة ولا عن الوعـي بل على الإنتبـــاه

[1] – نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ص 140.

[2] – محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 168.

ولم ينتبهوا إلى تنظيم المعنى بل كان جل اهتمامهم في طرق الإكتساب والمواقف التجريبية وبذلك حدث تحول مهم في مجتمع البحث النفسي واتجهوا بعيدا من السلوكية إلى نظرية الإدراك ومعالجة معلومات الدماغ، هذا التحول يشار إليه إلى أنه الثورة المعرفية في علم النفس وكان "ميلر" أحد أول العلماء الواعين بأعمال تشومسكي فاعتنق أفكاره وساعد في تحويل علم النفس اللغوي إلى علم اللغة النفسي، لقد حاول اكتشاف الطرق الصحيحة التي يفسر بها الحقيقة اللغوية، فاجتمع ميلر وتشومسكي في مقال مشترك وبينا كيفية تكوين الجملة وتحصيلها وبعد هذا المقال زاد الإقبال على علم اللغة النفسي فإنكب علماء النفس على دراسة مكونات الجملة وقواعد توليدها وتحويلاتها العقلية[1]، وبذلك كانت عودة واضحة لدور العقل في علم النفس، فتشومسكي استطاع التغيير من منهج العلم النفسي ككل ونقله من الإهتمام بالسلوك اللغوي إلى الاهتمام بما وراء السلوك اللغوي ومصدره الأول المتمثل في العقل.

ثانيا/إسهامات تشومسكي في علم الإجتماع

أسس ابن خلدون علم الإجتماع بإسم علم العمران البشري إلا أن الوجود الحقيقي له كان مع أوجست كونت في فرنسا، وعني بهذا العلم دراسة المجتمع بشكل يتماثل ومنهج دراسة العلوم الطبيعية، إلا أن هذا العلم تطور وأخذ عدة تخصصات علم الإجتماع السياسي والإقتصادي والإجرامي والقانوني وكذا علم إجتماع اللغات[2]، عند هذا الأخير نجد علم الإجتماع يلتقي بعلم اللغة، كون اللغة وسيلة اتصال وتواصل في المجتمع فهي التي تربط بين الأفراد تسمح لكل شخص بالتعبير عن ما يريده هو واستيعاب وفهم ما يريده الآخر.

[1] – هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، 2015، ص 97-98.

[2] – عبد المنعم الحنفي، المعجم الشامل، ص 549-550.

ارتبط علم الإجتماع اللغوي بدراسات المدرسة الإجتماعية الفرنسية وكان لدوركايم تأثيرا بالغا على كل الدراسات التي لها علاقة بعلم الإجتماع حيث تبنى اللغويين أفكاره وتأثرو بها أيما تأثر، فطبقت نظريات علم الإجتماع على اللغة وحاول اللغويين توضيح أثر المجتمع والمظاهر الخارجية على الظاهرة اللغوية بإعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي فأخذ علماء اللغة يدرسون الظاهرة اللغوية من جانب اجتماعي ويرجعونها إلى أسباب خارجية وقد سبق لنا توضيح تأثر دوسوسير بعلم الإجتماع في الفصل الأول، الذي يعد واحدا من أعمدة اللسانيين وعلماء اللغة، إلا أنه وفي الجانب الآخر نجد أن تشومسكي قد عزف عن إتباع هذا التيار وكان له رأيا مخالفا فبرغم من أنه إحترم جهود دوركايم وكل العلماء الإجتماعيين في تخصصهم، إلا أنه تنكر لعلماء اللغة هذا الإتباع والتسليم والإسقاط لأفكار علم الإجتماع على اللغة، فللظاهرة اللغوية خصوصيتها التي تختلف بها عن الظاهرة الإجتماعية وقد استنكر إقبالهم على التفسيرات الإجتماعية وإهمالهم للفرد والعقل الإنساني فهو يرى أن اللغة "**تتجاوز تجربة الشخص الذي إكتسب اللغة أو تجربة الجماعة اللغوية التي يعيش بينها**"[1]، اللغة هي أكبر بكثير من أن تكون مجرد لغة مكتسبة ومجرد آداة تواصل متوارثة أب عن جد فهي بحسبه النظام العقلي الأكثر تعقيدا الذي يتم وفق قواعد وتحويلات وتوليدات لامتناهية.

لكنه عندما سئل ما إن كان للبيئة الاجتماعية تأثير على نمو الطفل اللغوي فإنه أجاب: "نعم" وأن للمجتمع دور في تشكيل لغة الطفل، إلا أنه يرتب بالدرجة الثانية فعنصر الإكتساب هو ما يبرر اختلاف اللغات من فرد إلى آخر فالطفل يتكلم لغة مجتمعه وكذلك يحدد مقدار رصيده اللغوي، حيث نجد تفاوتا في البراعة في استخدام اللغة وهذا نظرا لمجموع البيانات اللغوية التي تعرض لها الطفل، إلا أن هاته العمليات لا تقوم إلا من خلال القاعدة الفطرية

[1] – نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات العرفة، ص 62.

العقلية الموجودة في الطفل التي تسمح له بالتلقي والتعلم والتصحيح وحتى الإبتكار والتلاعب باللغة[1]، إضافة أنه يمكن للمجتمع التأثير على نمو الطفل السليم سواء نفسيا أو جسديا ففقدان حاسة السمع مثلا أو الأمراض النفسية كالتوحد وغيرها لها تأثيرا لا يستطيع عاقل إنكاره على عملية النمو اللغوي عند الطفل، إلا أن هذا لا ينفي وجود الملكة اللغوية العقلية التي عسر الإستخدام الصحيح لها نتيجة لتلك الإضطرابات، فعلى علم الإجتماع اللغوي العودة إلى طبيعة الإنسان العاقلة وإعادة تفعيل دور الفرد وسط الجماعة وعدم إذابته في المجتمع.

من خلال هذا الرأي ورأي بعض اللسانيين الذين وافقوا تشومسكي القول وشاركوه النظرة، ظهر ما يسمى بعلم اللغة الإجتماعي الذي يدرس اللغة وآليتها وطبيعتها بصفة أولى ثم تأثير المجتمع والعوامل الخارجية في مجمل تلك العمليات اللغوية بصفة ثانية، فيتمثل دور تشومسكي في التأثير في علم الاجتماع في كونه أراد منه أن يعدل اتجاهه في الدراسة، فبدل من دراسة المجتمع وتأثيره على الفرد أراد تشومسكي أن يدرس الفرد أولا كنواة أولى تشكل المجتمع ومن ثم التوجه إلى دراسة تأثيره وتأثره بالمجتمع، كما أنه رفض تغييب دور الفرد وطمس شخصيته وإذابتها في الجماعة.

وظهرت فلسفة تشومسكي الإجتماعية من خلال مساعيه في توحيد المجتمعات والشعوب، وكذا ظهرت من خلال ثوراته ومحاربته لكل أشكال العنصرية والطبقية كما أنه عرف بمعاداته لسياسات الجائرة التي تضطهد الشعوب والأقليات، ودعى إلى نبذ كل معالم العنصرية والتعصب الديني والعرقي، كل هاته المساعي تتجسد لنا من خلال مشروعه في إقامة لغة عالمية شاملة توحد المجتمعات بإختلاف لغاتها، لغة عقلية تعود بالإنسان للغته الفطرية العامة الخالية من كل

[1] – نعوم تشومسكي، هل توجد فطرة بشرية ، تطبيق يوتيوب، دون رابط، تم نشره في 14 ديسمبر 2013، تمت مشاهدته 11 أفريل 2020، 02:20.

التجزيئات والإنقسامات الإجتماعية.

ثالثا/ إسهامات تشومسكي في الفلسفة

إن تأثر تشومسكي بالفلسفة واضح جدا وهذا من خلال مجمل آرائه وأعماله حيث تأثر بالفلسفة العقلانية التي سادت في القرن السابع عشر واهتم بدراستها وآمن بأفكارها فحاول إعادة صياغتها في قالب يتماشى وتطورات القرن العشرين، فساهم في دراسة الموضوع الفلسفي الذي تمثل في العقل مع مجموع العلوم كعلم اللغة وعلم النفس وعلم الإجتماع والسياسة وغيرها فتولدت فلسفته العقلانية من خلال هاته المحاولات في شتى العلوم والمجالات ولعل أبرز مجالين تفلسف بهما تشومسكي وكانت له آراء فلسفية ذائعة الصيت عالميا، كانت في كل من فلسفة اللغة والفلسفة السياسية، حيث عرف تشومسكي من خلال مواقفه من طبيعة اللغة وكذا مواقفه السياسية الجريئة المتمردة.

1) فلسفته اللغوية

إن من أهم المميزات التي تحلى بها تشومسكي وجعلته يصنف في خانة الفلاسفة هي النقد فقد عرف تشومسكي بنقده لكل من البنيوية والسلوكية وكل النظريات التي رأى أنها حادت عن الصواب وكما نعلم جميعا فإن النقد هو عمود الفلسفة وترياقها الذي يحافظ على استمرايتها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نجده برع في فلسفة اللغة وهذا من خلال المزج بين الأفكار الفلسفية العقلية مع التفسير اللغوي، ناهيك عن استخدامه للمنطق في صياغة قواعد اللغة والنحو وتفسيره للنشاط اللغوي تفسيرا فلسفيا لمسناه قبلا في الفلسفة العقلية مع مدرسة بورت رويال وديكارت وهامبلت في قضية الطبيعة العقلية، وإرجاع الطبيعة اللغوية كذلك إلى ملكة

عقيلة فطرية، ونلمس الفلسفة في أفكاره من خلال الدعوة إلى التجريد فإننا نجده يقول بالأفكار التجريدية، إضافة إلى قوله بالحدس والتي هي فكرة فلسفية استقاها تشومسكي من ديكارت، كل هاته الأفكار الفلسفية من العقلانية والنقدية إلى التجريدية والحدسية قد عالجناها بالتفصيل في الفصل الثاني وبينا موقفه الواضح منها من خلال نظريته التوليدية التحويلية وقوله بثنائية اللغة والعقل.

وإضافة لتلك الأفكار الفلسفية السابقة فإننا نجد تشومسكي قد أقحم كذلك أفكار فلسفية أخرى في مجال اللغة مثال البرغماتية، بحيث يرى تشومسكي أنها في اللغة دراسة مقدرة أبناء اللغة على ربط الجمل بالسياقات التي يجب أن تكون ملائمة لها، والبرغماتية عند تشومسكي هي برغماتية مجردة[1]، أي أنها تهتم بالمقدرة العقلية والأفعال التحويلية على مستوى الجمل فهو لا يهتم بالفعل الخارجي بل بالفعل الداخلي، حيث نجده متأثرا جداً بزعيم البرغماتية "تشارلز بيرس" فيقول: "**الفيلسوف الذي أشعر بإحتوائه والذي أميل إلى تفسيره هو تشارلز بيرس لقد إقترح تحديدا مثيـرا بعيدا جـدا عن الإكتمـال، أطلق علـيه الإعتزال**"[2]، وتعد النظرية التوليدية التحويلية نظرا لما تحتويه من أفكار فلسفية أكثر نظرية في اللغة تربط بين اللغة والفلسفة وتوحد بين اللغة والعقل.

2) فلسفته السياسية

تتبع فلسفته السياسية فلسفته العقلية فمنذ البدء كان تشومسكي يعارض المنهج التجريبي في الدراسات اللغوية وكذا نجده يعارض ما آلت إليه التجريبية من سياسات لبيرالية وغيرها.

[1] – سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 181–182.

[2] – نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، ص 181.

تميزت كتاباته السياسية بالبساطة والسهولة على عكس كتاباته اللغوية المعقدة وكـان أول مقال له سياسي سنة 1939م، عندما كان في العاشرة من العمر ومن ثم عرف بكونه ناشط سياسي، إمتاز بنقده الدائم للسياسة الخارجية الأمريكية والحكومات المهيمنة ويعتبر نفسه بأنه إشتراكي تحرري، بالرغم من أن تشومسكي مفكر وفيلسوف أمريكي إلا أنه يرفض كل سياساتها الخارجية حيث يعتبر ناقد شديد اللهجة وساخر من شعاراتها أو كما يسميها الأكذوبات الأمريكية[1].

حيث وصفها بأنها تدعوا إلى قوانين هي أول من يخترقها وتدعي مثاليات ليست بها، فرأى أنها من أكثر الدول تعصبا فيقول: "**الولايات المتحدة هي من أكثر الدول تعصبا في العالم**"[2]، فقد كان يشهد على العنصرية الموجودة داخل أمريكا و كذلك على سياسات التفرقة والتحريض وإيقاع الشعوب في الحروب فيما بينها، هذا كله لأغراض سياسية واقتصادية كما أنه كان لتشومسكي مواقف رافضة لكل ما تقوم به الولايات المتحدة إتجاه الشعوب ومحاولة فرض سيطرتها فأعلن صراحة رفضه للإحتلال الفيتنامي والعراق وأفغنستان وغيرها، حيث كان يدين تدخلها الخارجي في حين ترفض هي أمريكا التدخل في شؤونها، فرأى أنها "**ترعى مصالحها**" على حد تعبيره وليس لديها أي حس بالمسؤوليات اتجاه الحروب التي تخلفها وعدد القتلى وتدني المستوى المعيشي لتلك الشعوب.

وقد تعدى عداؤه ورفضه للسيـاسة الأمريكية الرفض إلـى الإتهـام حيث نجده يتهمهـا بتمويل العملاء الإرهابيين في الشرق الأوسط وكذا أنها السبب في كل الحروب في العالم ذلك

[1]– حازم سليمان الناصر، نعوم تشومسكي بين الفلسفة والسياسة، مجلة الأستاذ، العدد 205، كلية التربية، جامعة بغداد، العراق، 2013، ص 603.

[2]– نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبدا، تر: أسعد الحسين، دار نينوي، سورية، د ط، 2010، ص 107.

لخدمة مصالحها فكان له رأي في القضية العراقية قائلا: " **لما كان صدام حسين صديقا حميما وشريكا اقتصاديا لم تكن المخاطر موجودة وظل كذلك إلا أن إرتكب أول جريمة مخالفة الأوامر**"[1]، ووضح كذلك أن الولايات المتحدة تنظر إلى الشرق الأوسط أنه أعظم هبه مادية في التاريخ، هذه الهبة التي عليهم الاستيلاء عنها إما من خلال التجارة، حيث نلاحظ أن أمريكا تستحوذ على نفط الشرق الأوسط، إما بالقوة من خلال التدخلات يقول: " **ما لدينا نمنعه ونغلق الباب في وجوههم وما ليس لدينا نطلبه من الآخرين من خلال فتح الباب بالقوة**"[2].

وبالرغم من ديانته اليهودية واعتزازه بأصله الصهيوني إلا أنه كان رافضا للسياسة الإسرائيلة وكل الجرائم التي تقوم بها على الأراضي المحتلة وتبين كذلك تحالفها والولايات المتحدة من أجل غزو العالم فيوضح صداقتهما قائلا: "**الولايات المتحدة الأمريكية تنظر إلى اسرائيل بإعتبارها الحليف الذي يمكن أن تعتمد عليه ضد بعض الأنظمة العربية التي كان الاتحاد السوفياتي يساندها**"[3].

لم يكن تشومسكي ناقدا وفقط، بل كان مصلحا حيث جاب أنحاء العالم في لقاءات مختلفة يدعوا إلى الإنسانية ويتطرق إلى المشاكل اليومية التي يعيشها العامة موجها نداؤه للسلطات للكف عن أنانيتها ورعاية مصالح الإنسان أينما كان[4]، فدعى تشومسكي إلى الحرية والمساواة ونبذ الإضطهاد وبين مايجب على الحكومات اتخاذه اتجاه خدمة الإنسانية، ودعا إلى التسامح فنجده أكثر من مرة في زيارة للأراضي الفلسطينية، ودافع تشومسكي على فكرة التواصل سواء

[1]– نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، تر: شرين فهمي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2006، ص 16.

[2]– المرجع نفسه، ص 08.

[3]– نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط، ص 26.

[4]– نعوم تشومسكي، العقل ضد السلطة، تر: عبد الرحيم حزل، دار الأمان، دار التنوير، المغرب، بيروت، ط1، 2014، ص18.

من خلال سعييه للغة العالمية أو من خلال فلسفته السياسية، وفلسفة التواصل نادى بها الكثيــر من الفلاسفة المعاصرين، كفلاسفة الإعتراف بالآخر والتعايش والتواصل أمثال "هابرماس" و"هانزجوناس" "أكسل هنيث"، فإن تشومسكي كذلك رفع هذه الشعارات واعتبر من فلاسفة التواصل، كما اعتبر كذلك من فلاسفة السياسة ومن كبار فلاسفة اللغة والملاحظ أن كل هاته الفلسفات قد بناها تشومسكي على قواعد عقلية، فإن نجاح فلسفته المتعددة المجالات هو في بمثابة عودة للنزعة العقلية في شتى الميادين أيضا، فقد أثبت تشومسكي من خلال أراءه تلك أنه يستحق لقب الفيلسوف وبجدارة ناهيك عن كونه عالم لغة وناشط سياسي حيث أنه أثر وتأثر بالعديد من العلوم والفلسفات مما جعله يصنف من بين أكثر عشرة شخصيات مؤثرة في القرن العشرين.

المبحث الثالث/ نقـد وتقييـم

تباينت أراء النقاد بين مؤيد للفكر التشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية وبين معارض لها، وكما سبق التوضيح فإن النظرية قد تطورت جراء النقد الذي مسها من أتباعها إلا أنها كذلك لم تسلم من النقد الخارجي من اللذين كان لهم اعتراضات على مبادئ هذه النظرية:

أولا/ النقد الداخلي

بعد إعلان تشومسكي عن نظريتة بإصدار كتابه الأول البنى النحوية وإحداثه لثورة علمية على عدة مستويات أهمها في علم اللغة، فقد أخذ علماء اللغة يتدارسون نظريته وهذا ماترتب عنه عدة ملاحظات وانتقادات وجهوها لهاته النظرية.

من بين الإنتقادات التي وجهت للنظرية كانت من تلميذ تشومسكي "لاكوف" الذي نقد مفهوم البنية العميقة فقد تساءل عن ضرورة وجودها حيث رأى أنه لا لزوم لهذه الفكرة فليس من الضروري وجود وسيط بين الدلالة والأداء، فيكفي أن يحمل المتكلم دلالة ذلك اللفظ من مقاطع الصوت الآدائية، ورأى أنها مجرد فكرة تجريدية عبر بها تشومسكي عن مساعيه في إيجاد قواعد منطقية[1].

كذلك نجد "جاكندوف" ينقد تشومسكي في إهتمامه بالشكل وإهمال المعنى فيقول: " **لم يكن للنحو التوليدي على العموم سوى القليل مما يقوله عن المعنى**"[2]، فهو يرى أن تشومسكي قد أهمل أهم جانب قد يدرس في اللغة وفسح المجال لعلمـاء النفس والأعصاب ليشتغلوا علـى ذلك، ويقصد أنـهم ليسـوا أهل الإختصـاص، كما أنه كذلك رفض الـمركزية التـي أولاها النحو

[1]–جوهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، ص 167.

[2]–جاكندوف، تشومسكي، فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ص 12.

التوليدي لعنصر التركيب[1]، وعلى أنه المصدر الوحيد للقدرة التوليدية حيث أنه بهذا أولى إهتماما بالغا لشكل الجملة على حساب اختلاجات المتكلم، فحسب تشومسكي أنه لا يهمنا حال المتكلم والمواقف المرتبطة بالجملة بقدر ما يهمنا التركيب الذي يربط الألفاظ في ما بينها، وصحة إستعمال القواعد العقلية لإنشاء جملة صحيحة نحويا وهذا ما أعابه عليه تلميذه "جاكندوف".

كما أنه اتهمه بالتناقض حيث يقول "**من الأسباب التي جعلت الدلالة تلعب مثل هذا الدور الثانوي نسبيا في التيار الرئيسي في النحو التوليدي، التناقض الظاهر لدى تشومسكي نفسه فهو من جهة يستدل بقوة على مقاربة داخلية للمعنى... لكنه من جهة أخرى يغض النظر في تقديم أمثلة قليلة و معبرة** "[2]، داعيا إياه إلى إعادة النظر فيما يخص المعنى.

أما فلمور الذي يعد كذلك من أتباع التوليدية إلا أنه إعترض عن بعض ما جاء فيها حيث رأى أنها محدودة، وجاء كل من فلمور ولاكوف وغيرهم بنظرية الدلالة التوليدية التي تعد تطورا للنظرية التوليدية التحويلية حيث جاءت من أجل تقريب البنية العميقة من التمثيل الدلالي للجملة وزيادة العمليات التحويلية، وترتبط الجملة حسب هذا الإتجاه بالسياق الذي ذكرت فيه [3].

فانتقد أتباع النظرية تشومسكي في عدة مواضع أهمها هي قضية المعنى، حيث اتهم تشومسكي بإهتمامه بالشكل وإهماله للمعنى إضافة إلى الشكل المنطقي الذي صيغت فيه النظرية والذي جعلها أقرب إلى الرياضيات والمنطق من اللغة، هذا ما أدى إلى ظهور نظريات متولدة عنها حاولت معالجة وتخطي كل النقائص الملحوظة في النظرية التوليدية ويعد

[1]– جاكندوف، تشومسكي، فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، ص 13.

[2]–المرجع نفسه، ص 19.

[3]– سارة بوحلاسة، أهمية نظرية قواعد الحالات لشارل فلمور، ص 105.

تشومسكي ناقدا هو الآخر لنظريته حيث أنه عدل فيها وتدارك العديد من الأمور سواء تفطن لها أو عرضت عليه كنقد للنظرية.

ثانيا/ النقد الخارجي

انتقد النظرية التوليدية علماء لغة عاصروها وكانت لهم كذلك نظريات فاعلة في اللغة نجد من بينهم "جون سيرل".

الذي عارض تشومسكي في عمق فكرة علاقة اللغة بالعقل حيث يرفض جون سيرل تفسير تشومسكي اليبولوجي للعقل واللغة وقوله بإرتباطها بالدماغ البشري بمعنى أنه يحوي مجموعة من القواعد المعقدة والكاملة المجهزة قبليا، وهذا ما يرفضه سيرل حيث يرى أن هذا التفسير كلاسيكي ويجب التعدي إلى حلول معاصرة، كقوله هو بالحالات الشعورية اللصيقة بنا التي يقصد بها "الوعي والقصدية"[1]، هذان المصطلحان اللذان ميزا فلسفته والتي يقصد بها التأثير الذي تخلقه المشاعر والأفكار على السلوك اللغوي، حيث نجده يستنتج أنه إذا ما اعتبرنا الملكة اللغوية هي ملكة عضوية هذا يعني أن العملية اللغوية تتم مثل باقي العمليات العضوية كالهضم وضخ الدم هذا ما يعني أن الأمر يجري بصفة آلية، لكن لو كان الأمر كذلك لما اختلفت التعابير اللغوية من شخص لآخر في الموقف ذاته هذا ما يدل على أن اللغة لا ترتبط كما يقول تشومسكي بجهاز فطري مجهز قبلي بنظام عالي اللغة، بل هو مرتبط بشعور الإنسان واختلاجاته المختلفة، مرتبط بوعييه لمحيطه الخارجي وذاته الداخلية، حيث قال جون سيرل بأفعال الكلام وأدخل اللغة إلى المجال الإستخدامي في الأفعال اليومية، حيث نظر للغة على أنها ماهي إلا شكل من أشكال السلوك.

[1]– مصطفى الحداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الإجتماعية والثقافية لكلية الآداب، تطوان، د ط، 1995، ص 107.

أما حول الألقاب التي نعت بها تشومسكي"فيلسوف القرن" و"غاليلو الثاني" وغيرها فإنه "مورتن ونستون" لا يعتبر تشومسكي يستحقها لأنه في نظره لم يحقق ثورة تعادل الثورات العلمية حيث يقول في مقاله تحت عنوان "هل هناك ثورة علمية حدثت في علم اللغة؟": "**أصبح من المألوف الادعاء أن هناك ثورة علمية حدثت في علم اللغة نتيجة لإسهامات نعوم تشومسكي**"[1]، لقد تزامن هذا الوصف وإصدار "توماس كوهن" لكتابه "بنية الثورات العلمية" الذي اعتبر معيار للثورات العلمية، حيث أن كوهن يصف فيه النموذج الذي يسمح لنا بوصف النظرية بالثورة العلمية هذا فإن "مورتن وانستون" يرى أن نظرية تشومسكي لا تتطابق ونموذج "توماس كوهن".

ويضيف أنه لو أن نظرية تشومسكي كانت نموذجية للمسنا تغيرا وتقدما مبهرا في علم اللغة إلا أنه لا يزال يعاني هذا الأخير من العديد من الإشكاليات ولا يزال مجرد علم سوي عادي، كما أنه لو كان تشومسكي شكل ثورة من نوع النموذج لتقبله المجتمع بأيدي مفتوحة إلا أنه قد واجهة مشكلة حتى في إيجاد ناشر لكتبه[2]، هكذا انتقد "مورتن ونستون" الأهمية التي أعطاها علماء اللغة لنظريات تشومسكي ورأى أنها لا تحتاج لكل هذا الإعلاء.

كذلك فإن "ميشال فوكو" يتعارض وتشومسكي حول طبيعة اللغة حيث يرى أنها ذات طبيعة اجتماعية مكتسبة حيث اتفق وتشومسكي في المناضرة التي عقدت بينهما في حصة تلفزيونية أجريت بينهما في هولندا سنة 1971 في عدة مسائل في السياسة والفلسفة إلا أنهما اختلفا في القول بالطبيعة الفطرية للمعارف وللغة خاصة يقول ميشال فوكو: "**صحيح انني لا**

[1]– هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، ص 86.

[2]– المرجع نفسه، ص 87.

أثـق بـــعض الشيئ بفكرة الطبيعة البشرية"[1] وهذا نظرا لأنه يرى أن العقــل يكتســب معــارفه من محيـطه الخارجي ويقوم بتفكيكها وإعادة بنائها، إضـــافة إلى أنه يعيـب على تشــومسكي إقتداءه الأوحد بديكارت في فكرتي الحدس والإبداع، في حين أن هاذين الفكرتين وكمــا يرى ميشال فوكو أنهما درسا بشكل أصح وأوضح مع فلاسفة سابقين ومعاصرين لديكارت وهو يرى أن ديكارت في حد ذاته كان عاجزا عن تفسيــر كل من الحدس والإبداع على غرار آخريــن ممن نجحــو في ذلك، حيث يوجه الكلام لتشومسكي قائلا: "**على العكس أعتقد أنه يمكنك أن تجد عند باسكال وليبنز في الوقت نفسه شيئا أقرب إلى ما تبحث عنه... ستجد عند باسكــال والتيار الأوغسطيني كله وفي الفكر المسيحي هذه الفكرة عن العقل والعمق**"[2].

كما أن فوكو كذلك انتقد تشومسكي في نظريته حول الإبداع و طريقة دراسته له حيث يرى أن الإبداع الذي تحدث عنه تشومسكي لا بصمة له في التاريخ، حيث لايؤرخ ولا يكـون له شأن لأنه وببساطة لا يرتبط بفكرة أو علم أو عالم أو فنان، إن فكرة الإبداع العــام والإبداع الإنساني الكلي التي تحدث عنها تشــومسكي يرى فيــها فوكو أنه لا طــائل منهــا وأنـــها لا تسمــى إبداعا، فالإبداع هو مثلا في ما جاء به العلماء والفلاسفة والفنانين وغيرهم، هو فكرة أثرت فــي التاريــخ الإنســاني والعلمي والفلسفي، أمــا مــايقوم به الإنســان من عمليات فيــزيولوجية وعقلية اعتيــادية عفوية في الحيــاة العادية فـهي لا تـرقى أن تسمــى إبداعــا "**إنهــا ليست مسألة مزج فالإبداع لايكــون ممكنا إلا إذا وضع داخل نسق من القوانين، إنــه ليس خليط بين النظـــام والحرية**"[3]، لذا ففي حين يقول فوكو أن الإبداع يخص العلوم والفنـون

[1]– نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، عن الطبيعة الانسانية، ص 23.

[2]– المرجع نفسه، ص 32.

[3]– نفسه، ص48.

يجيبه تشـومسكي أن هذا ماهو إلا من ذاك، أي من العمليات الذهنية الإبداعية وقد يكون هذا الإختلاف في الرؤى راجـع إلى الإختلاف في المنهج.

كما أنه هناك أيضا من انتقد تشومسكي في فكرة اللغة الشاملة والعالمية حيث رأو منها أنهـا فكرة مستبعدة الحدوث وغير ممكنـة وهذا بدليل فشل تحقيـقها عبر العصـــور، فمنطق أرسطـو أعتبر أول محاولة لتأسيس لغة شاملة إلا أنه تعرض للتغيير وتم تكييفه من قبل العلوم والمناهج ليوافق توجهها، وبهذا فقد صفة الشمولية، كذلك محاولة ليبنز التي لم تتحقق على أرض الواقـع فـي إنشـاء لغة رمزية عالمية، من هنا نستطيـع القول أن قول دوسوسير بالإختلاف الطبيـعي للغات يعارض كذلك قول تشومسكي بفكرة اللغة العـالمية، فالتـاريخ وبحسب دوسوسيـر أثبت أن كل اللغات التي سطرت على أساس موحد ومظبوط ومقنن وعالمي ما إن نزلت للإستعمـال وتم تداولها إلا وفقدت قوانينها وانظباطها وتعرضت لتحريف والتغيير فتصبح غريبة حتـى علـى صاحبها.

أنتقد تشومسكي كذلك بسبب جرأته في كتاباته وتصريحاته المعادية للسياسة الأمريكية والصهيونية وتعرض لهجوم من طرف أصحاب اليمين الأمريكي كما تم اتهامه أنه يرجوا من تصريحاته الشهرة لا غير حيث أصبح يستدعى في المقابلات التلفزيونية والندوات الدولية للحديث على السياسة لا أعماله الفلسفية واللغوية، كما أن هناك من لاحظ على آراء تشومسكي التناقض ففي حين هو يدافع على حقوق الشعوب ويدعوا للمساواة إلا أنه يمانع امتلاك إيران للسلاح النووي في حين روسيا وأمريكا يرى أن لها الحق في ذلك[1].

في المقابل فإن هناك الكثير من العلماء والفلاسفة الذين ثمنـو أعمال تشـومسكي وأشـادو بهـا

[1]– حازم سليمان الناصر، نعوم تشومسكي بين الفلسفة والسياسة، ص 605.

حيث يرى "روبرت ليز" أن كتاب تشومسكي"البنى التركيبية" جعل علم اللغة قادرا على تخطي العلم الوصفي إلى العلم البديهي فيقول: "**البنى التركيبية هي أحد المحاولات الجادة من قبل عالم لغة حاول وضع علم اللغة ضمن تقليد النظرية العلمية، نظرية شاملة تفهم بنفس فهم النظريات البيولوجية والكيماوية**"[1]، حيث اعتبر ليز محاولة تشومسكي هي أولى المحاولات الجادة للجعل من اللغة علما يرقى إلى العلوم الطبيعية الأخرى.

وهناك من اعترف بكون تشومسكي أحدث ثورة علمية بكتابه "البنى النحوية" حيث رأى فيه أنه يتوفر على الشروط التي سنها "توماس كوهن" في كتابه بنية الثورات العلمية يقول "نيومير" :"**إننا نخلص من ذلك أن كتاب النحو التركيبي ذو تأثير ثوري في حقل علم اللغة وتأثير اجتماعي على حد سواء**"[2]، كما يرى كذلك "فورجين" أنه حتى لو حقق كتاب "البنى النحوية" ولو القليل من أهدافه فقط لأنجز ثورة كوبرنيكية، فمثلما غير كوبرنيك النظرة إلى الكون فقد غير تشومسكي كذلك النظرة السائدة عن اللغة[3]، ومن المفكرين العرب الذين تأثرو بالنظرية التشومسكية فانكبو على ترجمة كتبه وتحليلها أبرزهم "ميشال زكرياء" و "مازن الوعر" و "مصطفى غلفان" وغيرهم.

وإني أثمن الجهود الفلسفية واللغوية التي ساهم بها تشومسكي في سبيل تطوير البحث اللغوي والفلسفي والسعي إلى كشف اللثام عن الحقيقة، وما ساهم به من إعادة اعتبار للعقل الإنساني وتفعيل دور الفرد وتحقيق الإتصال بين الشعوب و إزالة الإختلافات، إلا أن ما يلاحظ على مساعي تشومسكي أنها مساعي نظرية يصعب تحقيقها على أرض الواقع ففكرة اللغة

[1]– نقلا عن: هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي،ص88.

[2]– المرجع نفسه، ص 85.

[3]– نفسه، ص 48.

الشاملة أثبت التاريخ عدم امكانية وصعوبة تحقيقها، كما أننا نلاحظ أنه يدعو إلى المحافظة على طبيعة الموضوع اللغوي كونه موضوع إنساني له طبيعة خاصة، واستنكر إخضاعه للمنهج العلمي التجريبي، إلا أنه في المقابل يخضعه للحوسبة والرقمنة ويجعل منه علم حاسوبي.

وكون تشومسكي فيلسوف يهودي هذا ما يجعل الشبهات تدور حوله ما إن كانت أهدافه من فلسفته التواصلية قومية تخدم مصالح بلده، وهذا في أن يكون من جملة الفلاسفة اليهود المعاصرين الذين يدعون للمساواة وتقبل الآخر والتعايش مع الغير وإلى غير ذلك من الفلسفة اليهودية المعاصرة التي تسعى إلى تحقيق أهداف أخرى خفية وهي تغيير النظرة السلبية اتجاه دولة إسرائيل وتحقيق القبول من الرأي العالمي حيث أن ترسيخ فكرة التعايش مع الآخر هي فكرة تهدف إلى التعايش مع الكيان الصهيوني حسب الفلاسفة اليهود، ويبقى هذا مجرد زعم لا إلا.

كما أنه يؤاخذ في فلسفته السياسية و نقده للهيمنة الأمريكية على دول الشرق الأوسط، أنه عالج الموضوع من جهة واحدة وألقى المسؤولية كاملة على دول الغرب ووصفها بالوحشية متناسي دور الحكومات العربية في ما آلت إليه بلدانها وحالة الإستكانة والتسليم والضعف التي هم عليها التي سمحت لدول العالم بالإستطالة عليهم.

إجمالا إن هاته الآراء سواء كانت المخالفة لأفكار تشومسكي أو المؤيدة لها فإنها ساهمت سواء في التقويم و التصويب أو الإشادة والتحفيز في إطار العملية النقدية، فتشومسكي كان ناقدا وتعرض للنقد، كون هذا الأخير محرك التقدم العلمي والبحث عن الجديد، وإن إهتمام العلماء بالفكر التشومسكي ووضعه في حيز النقد والتمحيص والدراسة ماهو إلا دليل على أهمية أفكاره ومكانتها التي فرضت وجودها في النصف الثاني من القرن العشرين والتحول الذي أحدثته في عدة مجالات.

خاتمة

خاتمة:

في الختام ومن خلال دراستنا هذه حول فلسفة تشومسكي اللغوية، فإنه يتعين علينا الإجابة على إشكالية بحثنا المدرجة حول أهداف وغايات تشومسكي من الربط بين كل من اللغة والعقل، فإنها تجلت لنا الغايات التالية:

إن الغرض الأول الذي سعى تشومسكي لتحقيقه من خلال قوله بثنائية اللغة والعقل هو توضيح المعنى والماهية الحقيقية للغة، حيث وكما بينا أنه رفض تفسير كل من اللسانيات البنيوية والسلوكية وما كان سائدا أنذاك عموما، فكان هدفه إلغاء تلك النظرة الوصفية الخارجية لماهية اللغة وإبدالها بنظرة أكثر منطقية وواقعية، وهذا ما تجلى في نظريته التوليدية التحويلية المحكمة بقواعد عقلية منطقية، والتي أثبتت مصداقيتها من خلال الذيوع الواسع لها والتأثير في العديد من العلوم.

وفي سياق سعيه لتوضيح ماهية اللغة فإنه بين العلاقة التي تجمع بين كل من اللغة والعقل حيث قال بإتصالهما وأن كلاهما فطري في الإنسان يولد وهو مزود بهما، بالتالي فاللغة آلية عقلية ذهنية حسبه.

وإن قوله بطبيعة اللغة العقلية بين لنا مسعى آخر لتشومسكي وهو إعادة إحياء العقلانية من جديد، بعد المغلاة في تبنى المنهج التجريبي و محاولة إحلاله في كل العلوم، هذا الرأي الذي رفضه تشومسكي فحاول إعادة تفعيل المنهج العقلي وإعادة صياغته في ما يتوافق وعلوم عصره، فنلمس ربطه بين اللغة والحوسبة وكذا علم الأعصاب وعديد العلوم العقلية سعيا منه لتفعيل العقلانية وكذا إعادة اللغة إلى منهجها الذي يتوافق وطبيعتها الذهنية.

كما قد بين من خلال هذا الربط بين اللغة والعقل وضائف اللغة والتي غفل عنها الكثير من اللسانين في عصره، حيث أنهم تناولوا اللغة من جانب لساني لغوي بحت،

الشيء الذي جعل تشومسكي يسعى لتوضيح الوظائف المتعددة للغة، من حيث أنها وضيفة لسانية تعبر عن أفكار الفرد الذهنية، كذلك وضيفة نفسية حيث بين لنا تشومسكي الدور الذي تلعبه اللغة في إظهار اختلاجات واظطرابات الفرد النفسية، وكيف أن اللغة وسيلة لتشخيص واكتشاف الأمراض النفسية وكذا علاجها مما نجم عن قوله هذا تأسيس علم اللغة النفسي.

دون أن ننسى الوظيفة الإجتماعية للغة التي بينها تشومسكي حيث أنه رأى أنها وسيلة للإتصال والتواصل بين الشعوب مغيرا ماكان سائدا، كون اللغة تعبر عن الإختلاف بين المجتمعات ليقول بنقيض ذلك حيث أنها عقلية واحدة ثابتة ماثلة في كل فرد وهي من أكثر مافطر عليه الإنسان ليعبر عن وحدة بني البشر، كما أنها ما يجمع الشعوب، وكما فصلنا فقد عبر عن هذا الرأي من خلال سعيه لإنشاء لغة عالمية شاملة انطلاقا من كون اللغة عقلية فطرية واحدة في كل العقول.

كما أنه كذلك ربط بين اللغة والفلسفة من خلال جمعه بين اللغة كموضوع لساني والعقل كموضوع فلسفي، وطرحه لعديد الإشكالات حول طبيعة العلاقة بينهما ومحاولة حلها الأمر الذي جعل منه فيلسوفا في اللغة.

بهذا فإن تشومسكي كانت غايته من القول بثنائية اللغة والعقل، هي توضيح ماهية كل من اللغة والعقل وكذا علاقتهما ببعض، ومن ثم تبيين وضائف اللغة المتعددة سواء اللسانية أو النفسية أو الإجتماعية هذا السعي الذي نجم عنه عودة ملحوظة للعقلانية وكذا توحيده للغة من خلال قوله بفطريتها وتوحيده للعلوم من خلال ربطه بين العديد منها، إضافة إلى توحيد الشعوب من خلال قوله باللغة العالمية والشاملة، الأمر الذي جعله وبجدارة يستحق لقب فيلسوف القرن العشرين.

فهرس المصطلحات

- المنهج.....(syllabus)
- المجتمع.....(la societe)
- اللغة.....(la langue)
- الفرد.....(lindividu)
- العقل.....(lesprit)
- العالمية.....(globalisme)
- الحدس.....(lntution)
- الثبات.....(Persistance)
- التوليد.....(Obstetrigue)
- التواصل.....(la communication)
- التغير.....(changer)
- التحويل.....(transformation)
- البنية.....(la structure)
- الإبداع.....(la creativite)
- النقد.....(critigue).

فهرس الأعلام

- ليونارد بولمفيد.....(Leounard.BLoofield)
- كانط.....(Kant)
- نلسون فرانسيس.... .....(NelsonFrancis
- الكندى ....(Canadien)
- الفرابي.....(Al_Farabi)
- ميشال زكرياء.....(Michel zakaria)
- دوركايم.....(Durkheim)
- انطوان ارلوند..... (Antoine arhand)
- كلود لاتسولت..... (KhaudeLaloulette)
- نيلسن فرانسيس..... (NehsonFranesis)
- نيكولا روفي..... (NicohasRuffy)
- اندرى مارتينيه..... (AndrèMarTier)
- هامبلت..... (Humble)
- هارييس..... (Harris)
- غاييليلي غاليلو..... (Galileo galileo)
- ريمان..... (Riemann)
- لوباتشوفسكي..... (Lubachovsky)
- افلاطون..... (Platon)
- أرسطو..... (Aristote)

- جون لوك.....(Gohn Loche)
- دافيد هيوم.....(David Hume)
- شارل فلمور.....(ChrlesFlemore)
- جاكندوف..... (Gackindoff)
- ولتر كوك.....(Welter Couc)
- آلانتورينغ.....(Alan Turing)
- هابرماس.....(Habermas)
- هانزجوناس..... (Hans jonas)
- أكسل هونيث..... (Axel Honith)
- سنيكر..... (Snichers)
- ميلر..... (Miller)
- مورتن وينستون..... (Morton Winston)
- جون سيرل..... (John Searle)
- صدام حسين..... (Saddam Hussein)
- توماس كوهن..... (Thomas Cohen)
- ميشال فوكو..... (Michel Foucault)
- لالاند..... (Laland)
- ديكارت..... (Descartes)
- ليبنز..... (Lebens)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر

1_ المصادر بالعربية

1. نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط 1، 1987.

1. نعوم تشومسكي، العقل ضد السلطة، تر: عبد الرحيم حزل، دار الأمان، دار التنوير، المغرب، بيروت، ط1، 2014.

2. نعوم تشومسكي المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993.

3. نعوم تشومسك، بنيان اللغة، تر: إبراهيم الكلثم، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2017.

4. نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2009.

5. نعوم تشومسكي، أشياء لن تسمع بها أبدا، تر: أسعد الحسين، دار نينوي، سورية، دط، 2010.

6. نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط2، 2005.

7. نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.

8. نعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط ، تر: شرين فهمي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط2، 2006.

9. نعوم تشومسكي، ميشال فوكو، عن الطبيعة الإنسانية، تق: جون راكمان، تر: أمير زكي، دار التنوير للطباعة والنشر، مصر، تونس، لبنان، ط1، 2015.

10. جاكندوف، نعوم تشومسكي، فندلر، دلالة اللغة وتصميمها، تر: محمد عريم، محمد الرحالي، ، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007.

2_ المصادر الأجنبية

1. Noom Chomsky , Knowledge of language , its origin , and use convergence , the first publishers , new york , london , 1986.
2. Noom Chomsky, on nature and lamguage, cambrideunirersity press, newyork, 2002.
3. Noom Chomsky, language and mind, Cambridge university press, new York,2006.
4. Noom Chomsky, power and prospects, reflection on human and the social order,pluto press,the first/published, in the united kingdom, london, 1996.

ثانيا/ المراجع

1. أحمد مؤمن اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2005.

2. بريتيل ألبرج، مدخل إلى اللسانيات، تر: السيد عبد الضاهر، مرزوق صبري التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

3. تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب، دار دخلة، الأردن، ط1، 2011.

4. جوهارد هلبش، تطور علم اللغة منذ 1970، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2007.

5. حسام البهنساوي، القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، د س.

6. رآى جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بن نور، مختار كريم، دار سيناترا، تونس، د ط، 2010.

7. روى هاريس، توليب جي تايلر، أعلام الفكر اللغوي، تر: أحمد شاكر الكلاني، دار الكتاب المتحدة، ليبيا، ط1، 2004.

8. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغةنقد المنعطف اللغوي، دار الطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

9. السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1، 2008.

10. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار أحاث للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2004.

11. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال للنشر، المغرب، دط، 1989.

12. عبد الوهاب جعفر، الفلسفة واللغة، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط2، 2004.

13. فردناندوسويسو، دروس في الألسنة العامة، تر: صالح القرمادي، محمد الشاوس، محمد عحينة، دار العربية للكتاب، د ب، دط، 1985.

14. فرديناندوسويسر، علم اللغة العام، تر: يؤيليوسفعزيز، درا الآفاق العربية، بغداد، دط، 1985

15. مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط2، 1986.

16. محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، دط، 1999.

17. محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دط، دس.

18. مصطفى الحداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الإجتماعية والثقافية لكلية الآداب، تطوان، د ط، 1995.

19. مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، دار الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2010.

20. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986.

21. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، د س.

22. ميليكاايفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعيد الغرنم، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ، دب، ط2، 2000.

23. هناء صبري، فلسفة اللغة عند نعوم تشومسكي، المكتب العربي للمعارف، مصر، ط1، 2015.

24. وليد محمد السراقبي، الألسنية مفهومها مبانيها المعرفية ومدارسها، المركز الاسلامي للدراسات، لبنان، د ط، 2019.

ثالثا/المعاجم والموسوعات

1_ المعاجم

1. إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، مصر، دط، 1983 .

2. ابن المنظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، مصر، دط، مجلد 5، دس.

3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، ج1، 1982.

4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، ج2، 1982.

5. عبد المنعم الحفنى، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط3، 2000.

6. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009.

2_ الموسوعات

1. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر:خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، ط2، مجلد 1، 2001 .

رابعا/ المجلات

1. الأستاذ، العدد 205، العراق، د س.

2. دراسات وأبحاث، العدد 23، الجزائر، 2016.

3. كلية التربية، العدد 06، واسط، 2013.

خامسا/ الرسائل الجامعية

1. بن يحي زكية، الملكة عند المتعلم في الدرس الخلدوني، مذكرة لنيل شهادة ماستر، بن جدو وهيبة، قسم اللغة والأداب، كليةالأداب واللغات، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، 2017/2016

2. سارة بوحلاسة، أهمية قواعد الحالات لشارل فيلمور في ترجمة النصوص الأدبية، ترجمة منير البعلبكي ودار أسامة، القصة مدينتين تشارلز ديكز نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الترجمة، إشراف صالح خديش، أحمد مؤمن، قسم الترجمة، كلية الأداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2012/2011.

3. الصديق آدم بركات آدم، النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقها على النحو العربي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في اللغة العربية، عبد المنعم الحسن الكاروري، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، الخرطوم، السودان، 2010.

4. عمر دومي، قواعد النحو التحويلي بين نعومتشومسكي والنحو العربي، مذكرة لنيل شهادة ماستر، اشراف الربيع بوجلال، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2016/ 2017.

سادسا/ المحاضرات الجامعية

1. الطيب بوعزة، العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت إلى كانط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم العلوم الإنسانية والفلسفة، د ب، د س.

2. مختار درقاوي، نظرية شومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، الأكادمية للدراسات الإجتماعية والإنسانية، تخصص لسانيات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، دس.

سابعا/ الأشرطة والقنوات

1. نعوم تشومسكي، هل توجد فطرة بشرية، تطبيق يوتيوب، دون رابط، تم نشره في 14 ديسمبر 2013، تمت مشاهدته: 11 أفريل 2020، 02:20.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–ث

الفصل الأول

مقاربة تاريخية لجدلية العقل واللغة

المبحث الأول/ حول مفهوم اللغة والعقل	02
أولا / مفهوم اللغة	02
ثانيا/ مفهوم العقل	08
المبحث الثاني/ طبيعة اللغة بمنظور اللسانيات البنيوية والسلوكيية الأمريكية	13
أولا/ اللسانيات البنيوية	13
ثانيا / اللسانيات السلوكية الأمريكية	26
المبحث الثالث/ الخلفية الفلسفية لفكر نعوم تشومسكي	30
أولا/ أفرام نعوم تشومسكي	30
ثانيا/ موقف تشومسكي من اللسانيات البنيوية والسلوكية الأمريكية	31
ثالثا/ تأثره بالفلسفة العقلية الكلاسيكية	36

الفصل الثاني

النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي

المبحث الأول/ النحو التوليدي التحويلي مراحل تطوره وأهم مكوناته	42
أولا/ مفهوم النظرية التوليدية التحويلية	42
ثانيا/ مراحل تطور النظرية التوليدية	47
ثالثا/ عناصر النظرية التوليدية التحويلية	52
المبحث الثاني/ أسس النظرية التوليدية التحويلية	59
أولا/ الحدس	59

ثانيا/ الكفاءة اللغوية والآداء الكلامي 61
ثالثا/ البنية العميقة والبنية السطحية 65
رابعا/ الإبداعية 67
المبحث الثالث/ خصائص وأهمية النظرية التوليدية 71
أولا/ خصائص النظرية التوليدية التحويلية 71
ثانيا/ أهمية النظرية التوليدية التحويلية 81

الفصل الثالث

تجليات النظرية التوليدية التحويلية ومظاهر ثنائية اللغة والعقل

المبحث الأول/ البحث اللغوي الإنعطاف والتطور 85
أولا/ المدرسة التوليدية التحويلية (التشومسكية) 85
ثانيا/ النظرة البيولوجية للعقل اللغوي عند تشومسكي 90
ثالثا/ اللغة بوصفها نظام حاسوبي 94
المبحث الثاني/ علاقة النظرية التوليدية بالعلوم الإنسانية 98
أولا/ إسهامات تشومسكي في علم النفس 98
ثانيا/ إسهامات تشومسكي في علم الإجتماع 101
ثالثا/ إسهامات تشومسكي في الفلسفة 104
المبحث الثالث/ نقـد وتقييـم 109
أولا/ النقد الداخلي 109
ثانيا/ النقد الخارجي 111
خاتمة 118
فهرس المصطلحات 121
فهرس الأعلام 123
قائمة المصادر والمراجع 126
فهرس الموضوعات 132